(٥٥١)
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

ذكر عصيان الجزائر وإفريقية على ملك الفرنج بصِقلّية وما كان منهم

قد ذكرنا سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة موت رجّار ملك صَقَلّية ومُلك ولده غُليالم، وأنّه كان فاسد التّدبير، فخرج من حكمه عدّة من حصون صَقلّية.

فلمّا كان هذه السّنة قوي طمع النّاس فيه، فخرج عن طاعته جزيرة جَرْبَة وجزيرة قَرْقَنَة[١]، وأظهروا الخلاف عليه، وخالف عليه (أهل)[٢] إفريقية، فأوّل مَن أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفُرّيانيّ[٣] بمدينة سَفَاقُس، وكان رُجّار قد استعمل عليها، لما فتحها، أباه أبا الحسن، وكان من العلماء الصالحين، فأظهر العجز والضعف وقال: استعمل ولدي؛ فاستعمله، وأخذ أباه رهينة إلى صَقلّية.

فلمّا أراد المسير إليها قال لولده عمر: إنّني كبير السنّ، وقد قارب أَجَلي، فمتى أمكنتْك الفرصةُ في الخلاف على العدوّ فافعل، ولا تراقبهم، ولا تنظر في أنّني أُقتل واحسب أنّي[٤] قد مُتّ؛ فلمّا وجد هذه الفرصة دعا أهل المدينة إلى الخلاف وقال: يطلع[٥] جماعة منكم إلى السور، وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنّصارى جميعهم، ويقتلونهم كلّهم. فقالوا له: إنّ سيّدنا الشيخ والدك نخاف عليه. قال: هو أمرني بهذا، وإذا قُتل بالشيخ ألوف من الأعداء فما مات؛ فلم تطلع الشمس حتّى قتلوا

---

(١) في نسخة (ب): «قرقنه».
(٢) ساقطة من: المكتبة العربية الصقلية ٣٠١.
(٣) في نسخة (أ): «الحسن العرباني»، وفي تاريخ ابن خلدون ١٦٩/٦ «حمد بن أبي الحسن القرباني».
(٤) في المكتبة الصقلية ٣٠١ «أنني».
(٥) في المكتبة الصقلية ٣٠١ «تطلع».

الفرنج عن آخرهم، وكان ذلك أوّل سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

ثمّ اتّبعه أبو محمد[1] بن مطروح بطرابلس وبعدهما محمّد بن رشيد بقابس، وسار عسكر عبد المؤمن إلى بُونَة فملكها وخرج جميع إفريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهديّة وسُوسَة.

وأرسل عمر بن [أبي] الحسين[2] إلى زَوِيلَةَ، وهي مدينة بينها وبين المَهديّة نحو مَيدان[3]، يحرّضهم على الوثوب على من معهم فيها من النّصارى، ففعلوا ذلك، وقدِم عرب البلاد إلى زَوِيلَةَ، فأعانوا أهلها على مَن بالمهديّة من الفرنج، وقطعوا الميرة عن المهديّة.

فلمّا اتّصل الخبر بغُليالم ملك صَقلّية أحضر أبا الحسين وعرّفه ما عمل ابنه، فأمره أن يكتب إليه ينهاه عن[4] ذلك، ويأمره بالعَود إلى طاعته، ويخوّفه عاقبة فِعله، فقال: مَن أقدم[5] على هذا لا يرجع بكتاب؛ فأرسل ملك صُقلّية إليه رسولاً يتهدّده، ويأمره بترك ما ارتكبه، فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك، فلمّا كان الغد خرج أهل البلد جميعهم ومعهم جنازة، والرسول يشاهدهم، فدفنوها وعادوا، وأرسل عمر إلى الرسول يقول له: هذا أبي قد دفنتُه، وقد جلستُ للعزاء به، فاصنعوا به ما أردتم.

فعاد الرسول إلى غُليالم فأخبره بما صنع عمر بن أبي الحسين[6]، فأخذ أباه وصلبه، فلم يزل يذكر اللّه تعالى حتى مات[7].

وأمّا أهل زَوِيلَةَ فإنّهم كثُر جمعهم بالعرب وأهل سَفَاقُس وغيرهم، فحصروا المهديّة وضيّقوا عليها، وكانت الأقوات بالمهديّة قليلة، فسيّر إليهم صاحب صَقلّية عشرين شينيّاً فيها الرجال والطعام والسلاح، فدخلوا البلد، وأرسلوا إلى العرب وبذلوا

---

(١) في المكتبة الصقلية ٣٠١، «أبو يحيى»، والمثبت يتفق مع ابن خلدون.

(٢) في (أ): «أبي الحسن»، وكذا في المكتبة الصقلية.

(٣) في الصقلية: «نحو ميلان».

(٤) في الأوربية: «من».

(٥) في طبعة صادر ٢٠٤/١١ «قدم»، والتصحيح من المكتبة الصقلية ٣٠٢.

(٦) في المكتبة الصقلية ٣٠٢ «عمر بن الحسين».

(٧) الخبر باختصار شديد في: تاريخ ابن خلدون ١٦٩/٦.

لهم مالاً لينهزموا، وخرجوا من الغد، فاقتتلوا هم وأهل زَوِيلة، فانهزمت العرب، وبقي أهل زويلة وأهل سَفاقُس يقاتلون الفرنج بظاهر البلد، وأحاط بهم الفرنج، فانهزم أهل سَفاقُس وركبوا في البحر فنجوا، وبقي أهل[1] زويلة، فحمل عليهم الفرنج[2] فانهزموا إلى زويلة، فوجدوا[3] أبوابها مغلقة، فقاتلوا تحت السور، وصبروا حتى قُتل أكثرهم ولم ينجُ إلاّ[4] القليل فتفرّقوا، ومضى بعضهم إلى عبد المؤمن.

فلمّا قُتلوا هرب مَن بها من الحُرَم والصبيان والشيوخ في البرّ[5]، ولم يعرّجوا على شيء من أموالهم، ودخل الفرنج زَويلة فقتلوا مَن وجدوا فيها من النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، واستقرّ الفرنج بالمهديّة إلى أن أخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل

في هذه السنة قبض زين الدين عليّ كُوجُك نائب قُطب الدين مودود بن زنكي بن أقسُنقر، صاحب الموصل، على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملكشاه، وكان سليمان شاه عند عمّه السلطان سنجر قديماً، وقد جعله وليّ عهده، وخطب له في منابر خُراسان، فلمّا جرى لسَنجر مع الغُزّ ما ذكرناه، وتقدّم على عسكر خُراسان، وضعفوا على الغُزّ، مضى إلى خُوارزم شاه فزوّجه ابنة أخيه أقسيس، ثمّ بلغه عنه ما كرهه فأبعده، فجاء إلى أصفهان فمنعه شِحنتُها من الدخول، فمضى إلى قاشان، فسيّر إليه محمّد شاه ابن أخيه محمود بن محمد عسكراً أبعدوه عنها، فسار إلى خُوزستان، فمنعه ملكشاه عنها، فقصد اللّحف ونزل البَنْدَيجين، وأرسل رسولاً إلى الخليفة المقتفي يُعلمه بوصوله، وتردّدت الرسل بينهما، إلى أن استقرّ الأمر على أن يرسل زوجته تكون رهينة، فأرسلها إلى بغداد ومعها كثير من الجواري والأتباع، وقال: قد أرسلتُ هؤلاء رهائن، فإن أذِن أمير المؤمنين في دخول بغداد فعلت وإلاّ رجعتُ.

---

(١) في المكتبة الصقلية ٣٠٢ «وبقي من أهل».
(٢) في (أ): زيادة: «السور».
(٣) في الصقلية: «فرأوا».
(٤) في الصقلية ٣٠٣: «فلم ينج منهم إلا».
(٥) في الصقلية ٣٠٣: «البحر».

فأكرم الخليفة زوجته ومَن معها، وأذِن له في القدوم إليه، فقدِم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلاثمائة رجل، فخرج ولد الوزير ابن هُبَيرة يَلتقيه، ومعه قاضي القضاة والنقيبان، ولم يترجّل له ابن الوزير، ودخل بغداد وعلى رأسه الشمسة، وخلع عليه الخليفة، وأقام ببغداد إلى أن دخل المحرّم من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة فأحضر فيه سليمان شاه إلى دار الخليفة، وأحضر قاضي القضاة والشهود وأعيان العبّاسيّين، وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة، وأنّه لا يتعرّض إلى العراق بحال.

فلمّا حلف خُطب له ببغداد ولُقّب ألقاب أبيه: غياث الدّنيا والدّين، وباقي ألقابه، وخلع عليه خِلع السلطنة، وسيّر معه من [عسكر] بغداد ثلاثة آلاف فارس، وجُعل الأمير قُويدان[1] صاحب الحِلّة أمير حاجب معه، وسار نحو بلاد الجبل في ربيع الأوّل.

وسار الخليفة إلى حُلوان، وأرسل إلى ملكشاه ابن السلطان محمود أخي السلطان[2] محمّد، صاحب هَمَذان وغيرها يدعوه إلى موافقته، فقدِم في ألفَي فارس، فحلف كلٌّ منهما لصاحبه، وجعل ملكشاه وليّ عهد سليمان شاه، وقوّاهما الخليفة بالمال والأسلحة وغيرها، فساروا واجتمعوا هم وإيلدكز، فصاروا في جمعٍ كبير[3].

فلمّا سمع السلطان[4] محمّد خبرهم أرسل إلى قُطب الدّين مودود، صاحب الموصل، ونائبه زين الدّين يطلب منهما المساعدة والمعاضدة، ويبذل لهما البذول الكثيرة إن ظَفَر، فأجاباه إلى ذلك ووافقا، فقويت نفسه وسار إلى لقاء سليمان شاه ومَن اجتمع معه من عساكره، ووقعت الحرب بينهم في جمادى الأولى، واشتدّ القتال بين الفريقَين، فانهزم سليمان شاه ومَن معه، وتشتّت العسكر ووصل من عسكر الخليفة، وكانوا ثلاثة آلاف رجل، نحو من خمسين رجلاً، ولم يُقتل منهم أحدٌ، وإنّما

---

(١) في الباريسية: رقم ٧٤٠ «قوبدان».
(٢) في (أ): «الملك».
(٣) أنظر: المنتظم ١٠/ ١٦٤، ١٦٥ (١٨/ ١٠٦)، ودول الإسلام ٢/ ٦٧، والعبر ٤/ ١٤١، ١٤٢، وتاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٣٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٢.
(٤) في (أ): «الملك».

أُخذت خيولهم وأموالهم، وتشتّتوا، وجاؤوا متفرّقين.

وفارق سليمان شاه إيلدكز وسار نحو بغداد على شَهرزَور، فخرج إليه زين الدّين عليّ في جماعة من عسكر الموصل، وكان بشهرزور الأمير بزّان مقطعاً لها من جهة زين الدّين، فخرج زين الدّين وسار، فوقفا على[1] طريق سليمان شاه، فأخذاه أسيراً، وحمله زين الدّين إلى قلعة الموصل وحبسه بها مكرّماً محترماً[2]، إلى أن كان من أمره ما نذكره سنة خمسٍ وخمسين [وخمسمائة] إن شاء اللّه، فلمّا قبض سليمان شاه أرسل زين الدين إلى السلطان محمود[3] يعرّفه ذلك، ووعده المعاضدة على كلّ ما يريده منه.

ذكر حصر نور الدين قلعة حارم

في هذه السنة سار نور الدّين محمود بن زنكي إلى قلعة حَارِم، وهي للفرنج، ثمّ لبَيمُنْد، صاحب أنطاكية، وهي تقارب أنطاكية من شرقيّها، وحصرها وضيّق على أهلها، وهي قلعة منيعة في نحور المسلمين، فاجتمعت الفرنج مَن قَرُب منها ومَن بَعُد، وساروا نحوه ليرحلّوه عنها.

وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون إلى رأيه، فأرسل إليهم يقول: إنّنا نقدر[4] على حفظ القلعة، وليس بنا ضعف، فلا تخاطروا أنتم باللّقاء، فإنّه إن هزمكم أخذها وغيرها، والرأي مطاولته؛ فأرسلوا إليه وصالحوه على أن يعطوه نصف أعمال حارم، فاصطلحوا على ذلك، ورحل عنهم، فقال بعض الشعراء[5]:

---

(١) في (أ): «فوقها على».

(٢) أنظر: ذيل تاريخ دمشق ٣٣٧، والتاريخ الباهر ١٠٨، ١٠٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٩، ودول الإسلام ٢/٦٧، والعبر ٤/١٤٢، وتاريخ الإسلام (٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٨٠٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/٥٦، وعيون التواريخ ١٢/٤٩١، والبداية والنهاية ١٢/٢٣٣، وتاريخ ابن سباط، (بتحقيقنا) ١/١٠٢.

(٣) في (ب): «السلطان محمد».

(٤) في (أ): «نعذر».

(٥) في (أ): «الشعراء بذلك من قصيدة له». وفي (ب): «يذكر ذلك».
ويقول خادم العلم وطالبه محقق هذا الكتاب. «عمر عبد السلام تدمري»: إن قائل هذه الأبيات هو الشاعر أحمد بن منير الطرابلسي» المتوفى سنة ٥٤٨ هـ. ، وقد صرّح بذلك «أبو شامة» إذ قال: وقد =

ألبستَ دينَ محمّدٍ يا نُورَهُ عِزّاً لَهُ فَوْقَ السُّها أسادُ[1]

ما زِلْتَ تَشملُهُ بميّادِ[2] القَنا حتى تَثَقّفَ عودُهُ المَيّادُ[3]

لم يَبقَ مُذْ أرْهفتَ عزْمَكَ دونَه عَدَدٌ يُراعُ بهِ، وَلا استعدادُ

إنّ المَنابِرَ لَوْ تطيقُ تكلّما[4] حَمِدَتْكَ عن خُطبائِها الأعوادُ

مُلْقٍ[5] بأطرافِ القريحة[6] كلكلاً طَرَفاهُ ضَرْبٌ صادِقٌ وَجِلادُ

حاموا فلَمّا عايَنوا خوْضَ[7] الرّدى[8] حامَوا فرائسَ[9] كيدهم أوْ كادُوا

وَرأى[10] «البِرِنسُ» وَقد تبرْنَسَ ذلّةً حَزماً لحارِمَ[11] وَالمَصادُ مَصادُ

مَن مُنكِرٌ أن يَنسِفَ السيلُ الزُّبَى وَأبُوهُ ذاكَ العارِضُ المَدّادُ

أوْ أن يُعيدَ الشّمسَ كاسفةَ السّنا نارٌ لها ذاكَ الشّهابُ زِنادُ

لا يَنفعُ الآباءَ ما سمكوا[12] من الـ علياء حتى يُرْفَعَ[13] الأوْلادُ

وهي طويلة[14].

= قرأت في ديوان ابن منير: وكان يمدحه ويهنته بالعودة من غزاة حارم». ثم ذكر القصيدة. وقد علّق أبو شامة على هذا قائلاً: «وقد سبق أن ابن منير توفي سنة ثمان وأربعين، فإما أن يكون ابن منير قال هذا الشعر في غير هذه الغزاة، وإما أن تكون هذه الغزاة في غير هذه السنة». (الروضتين ١/ ٢٥٤).
وأقول: لعلّ القصيدة قيلت عند حصار الحصن سنة ٥٤٤ هـ.

(١) الأُسادة: بفتح الهمز وضمها: الوسادة.

(٢) في التاريخ الباهر ١٠٩ «تمكّنه بمنآد».

(٣) في التاريخ الباهر ١٠٩ : «المنآد».

(٤) في (أ): «يكلما».

(٥) في طبعة صادر ٢٠٨/١١ ضبطت: «مَلَقٌ».

(٦) في طبعة صادر ٢٠٨/١١ «القريحة»، وفي (ب): «الفرنحية».

(٧) في الروضتين: «حوض».

(٨) في الأوربية: «الردا».

(٩) في الروضتين والديوان: «برائش».

(١٠) في الروضتين والديوان: «ورجا».

(١١) في الروضتين والديوان: «حرماً بـ «حارم».

(١٢) في الباريسية والنسخة ٧٤٠ «سلكوا».

(١٣) في الباريسية والنسخة ٧٤٠، والديوان: «وترفع».

(١٤) الخبر والأبيات في: التاريخ الباهر ١٠٩، ١١٠، والروضتين ٢٥٤/١، ٢٥٥، والديوان (من جمعنا وتحقيقنا) ـ طبعة دار الجيل، بيروت، ومكتبة السائح، طرابلس ١٩٨٦ ـ ص ٢٦٢، ٢٦٣.

ذكر وفاة خُوارزم شاه أتسِز وغيره من الملوك

في هذه السنة، تاسع جُمادى الآخرة، تُوفّي خُوارزم شاه أتسِز بن محمّد، بن أنُوشتكِين، وكان قد أصابه فالج، فتعالج منه، فلم يبرأ، فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير أمر الأطباء، فاشتدّ مرضه، وضعفت قوّته، فتُوفّي، وكان يقول عند الموت: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[١]. وكانت ولادته في رجب سنة تسعين وأربعمائة.

ولمّا توفُي ملك بعده ابنه أرسلان، فقتل نفراً من أعمامه، وسمل أخاً له فمات بعد ثلاثة أيّام، وقيل: بل قتل نفسه.

وأرسل إلى السلطان سَنجَر، وكان[٢] قد هرب من أسر الغُزّ، على ما نذكره، ببذل الطّاعة والانقياد، فكتب له منشوراً بولاية خُوارزم، وسيّر الخِلع له في رمضان، فبقي في ولايته ساكناً آمناً.

وكان أتسِز حَسَن السيرة، كافّاً عن أموال رعيّته، منصفاً لهم، محبوباً إليهم، مُؤثِراً للإحسان والخير إليهم؛ وكان الرعيّة معه بين أمْن غامر وعد شامل[٣].

وفي سابع عشر الشهر المذكور تُوفّي أبو الفوارس بن محمّد بن أرسلان شاه ملك كَرْمان، وملك بعده ابنه سَلجُوقشاه.

وفيها تُوفّي الملك مسعود[٤] بن قَلْج أرسلان بن سليمان بن قَتَلْمِش، صاحب قُونيةَ وما يجاورها من بلاد الروم، وملك بعده ابنه قَلْج أرسلان.

ذكر هرب السلطان سَنْجَر من الغُزّ

في هذه السنة، في رمضان، هرب السلطان سنَجر بن ملكشاه من أسر الغُزّ هو

---

(١) سورة الحاقّة، الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) في الأصل: «نذكره»، والمثبت من (أ).

(٣) أنظر عن (خوارزم أتسز) في:
المختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٠، والعبر ٤/ ١٤٢، وتاريخ الإسلام (٥٥١ ـ٥٦٠ هـ.) ص ٤٦، ٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٢، ٣٢٣، رقم ٢١٥، ودول الإسلام ٢/ ٦٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٨٨، والوافي بالوفيات ٦/ ١٩٥، ومآثر الإناقة ٢/ ٤٢.

(٤) تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٦٧ رقم ٣١.

وجماعة من الأمراء الّذين معه، وسار إلى قلعة تِرْمِذ، واستظهر بها على الغُزّ، وكان خُوارزم شاه أتسِز بن محمّد بن أنُوشتْكِين، والخاقان محمود بن محمّد، يقصدان الغزّ فيقاتلانهم فيمن معهما، فكانت الحرب بينهم سِجالاً، وغلب كلّ واحد من الغُزّ والخُراسانيّين على ناحية من خُراسان، فهو يأكل دخْلها، لا رأس لهم يجمعهم.

وسار السلطان سَنجَر من تِرْمِذ إلى جيحون يُريد العبور إلى خُراسان، فاتّفق أنّ مقدّم الأتراك القارغليّة[1]، اسمه عليّ بك، تُوفّي، وكان أشدّ شيء [على] السلطان سَنْجَر وعلى غيره، كثير الشرّ والفساد وإثارة الفتن، فلمّا توفّي أقبلت القارغليّة[1] إلى السلطان سَنجر، وكذلك غيرهم من سائر الأمم من أقاصي البلاد وأدانيها، وعاد إلى دار ملكه بمرو في رمضان؛ فكانت مدّة أسْره مع الغزّ من سادس جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وأربعين إلى رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[2].

ذكر البَيعة لمحمّد بن عبد المؤمن بولاية عهد أبيه

في هذه السنة أمر عبد المؤمن بالبَيعة لولده محمّد بولاية عهده، وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر هنتاتي أن يلي عمر الأمر بعد عبد المؤمن؛ فلمّا تمكّن عبد المؤمن من المُلك وكثُر أولاده أحبّ أن ينقل الملك إليهم، فأحضر أمراء العرب من هِلال ورعبة وعَبديّ وغيرهم إليه ووصلهم وأحسن إليهم، ووضع عليهم مَن يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن، ويقولوا له: نريد أن تجعل لنا وليّ عهدٍ من ولدك يرجع النّاس إليه بعدك؛ ففعلوا ذلك، فلم يُجِبهم إكراماً لعمر هنتاتي لعُلُوّ منزلته في الموحّدين، وقال لهم: إنّ الأمر لأبي حَفص عمر؛ فلمّا علم عمر ذلك خاف على نفسه، فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه، فحينئذٍ بويع لمحمد بولاية العهد، وكتب إلى جميع بلاده بذلك، وخُطب له فيها جميعها، فأخرج عبد المؤمن في

---

(١) في (أ): «القارلغية».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٣٣٦ (سنة ٥٥١ هـ.) و٣٧٧، ٣٣٨ (سنة ٥٥٢ هـ.)، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٨، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٠، دول الإسلام ٢/ ٦٧، تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٦، العبر ٤/ ١٤٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٦، عيون التواريخ ١٢/ ٤٩١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٤، الكواكب الدرية ١٤٩، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٢، تاريخ ابن سباط ١/ ١٠٣.

ذلك اليوم من الأموال شيئاً كثيراً[١].

ذكر استعمال عبد المؤمن أولاده على البلاد

في هذه السنة استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد، فاستعمل ولدَه أبا محمّد عبد اللّه على بِجاية وأعمالها؛ واستعمل ابنَه أبا الحسن عليّاً على فاس وأعمالها؛ واستعمل ابنه أبا حفص عمر على مدينة تِلمسان وأعمالها، وولّى ابنَه أبا سعيد سَبْتة والجزيرة الخضراء ومَالِقة؛ وكذلك غيرهم.

ولقد سلك في استعمالهم طريقاً عجيباً، وذلك أنّه كان قد استعمل على البلاد شيوخ الموحّدين المشهورين من أصحاب المهديّ محمّد بن تُومَرت، وكان يتعذّر عليه أن يعزلهم، فأخذ أولادهم، وتركهم عنده يشتغلون في العلوم، فلمّا مهروا فيها وصاروا يُقتدى بهم قال لآبائهم: إنّي أريد أن تكونوا عندي أستعين بكم على ما أنا بصدده، ويكون أولادكم في الأعمال «لأنّهم علماء فقهاء)[٢]؛ فأجابوا إلى ذلك وهم فرحون مسرورون، (فولّى أولادهم)[٣] ثمّ وضع عليهم بعضهم ممّن يعتمد عليه، فقال لهم: إنّي أرى أمراً عظيماً قد فعلتموه؛ فارقتم فيه الحزم والأدب. فقالوا: وما هو؟ فقال: أولادكم في الأعمال، وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة، وإنّي أخاف أن ينظر في هذا فتسقط منزلتكم عنده؛ فعلموا صدق القائل، فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا: نحبّ أن تستعمل على البلاد السادة أولادك. فقال: لا أفعل؛ فلم يزالوا به حتى فعل ذلك بسؤالهم[٤].

ذكر حصر السلطان محمّد بغداد

في هذه السنة، في ذي الحجّة، حصر السلطان محمّد بغداد، وسبب ذلك أنّ السلطان محمّد بن محمود كان قد أرسل إلى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغداد والعراق، فامتنع الخليفة من إجابته إلى ذلك، فسار من هَمَذان في عساكر كثيرة نحو العراق، ووعده أتابك قُطب الدّين، صاحب الموصل، ونائبُه زين الدّين عليّ بإرسال

---

(١) الأنيس المطرب ١٣٧، نهاية الأرب ٢٤/ ٣٠٧،٣٠٨، الاستقصاء ٢/ ١٠٩ (سنة ٥٤٩ هـ).

(٢) من (أ).

(٣) من (أ).

(٤) نهاية الأرب ٢٤/ ٣٠٨،٣٠٩، الاستقصاء ٢/ ١١١.

العساكر إليه نجدةً له على حصر بغداد، فقدِم العراق في ذي الحجّة سنة إحدى وخمسين [وخمسمائة]، واضطُرب النّاس ببغداد، وأرسل الخليفة يجمع العساكر فأقبل خطلبرس من واسط وعصى[1] أرغش، صاحب البصرة، وأخذ واسط، ورحل مُهَلهِل إلى الحِلّة فأخذها، واهتمّ الخليفة وعون الدّين بن هُبيرة بأمر الحصار، وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التّاج، ونودي، منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسين [وخمسمائة]، أن لا يقيم أحدٌ بالجانب الغربيّ، فأجفل النّاس وأهل السواد، ونُقلت الأموال إلى حريم دار الخلافة، وخرّب الخليفة قصر عيسى والمُربّعة والقُرَيّة والمستجِدّة والنّجميّ، ونهب أصحابه ما وجدوا؛ وخرّب أصحاب محمّد شاه نَهر القلّابين، والتّوثة[2]، وشارع ابن رزق اللّه وباب المَيدان وقُطُفْتا.

وأمّا أهل الكرْخ وأهل باب البصرة فإنّهم خرجوا إلى عسكر محمّد، وكسبوا معهم أموالاً كثيرة.

وعبر السلطان محمّد فوق حَربى إلى الجانب الغربيّ، ونُهبت أُوانا، واتّصل به زين الدّين هناك، وساروا، فنزل محمّد شاه عند الرملة، وفرّق الخليفة السلاح على الجُند والعامّة، ونصب المجانيق والعرّادات.

فلمّا كان في العشرين من المحرّم ركب عسكر محمّد شاه[3] وزين الدّين عليّ، ووقفوا عند الرَّقّة، ورموا بالنُّشّاب إلى ناحية التّاج، فعبر إليهم عامّة بغداد فقاتلوهم، ورموهم بالنِّفط وغيره، ثمّ جرى بينهم عدّة حروب.

وفي ثالث صفر عاودوا القتال، واشتدّت الحرب، وعبر كثير من أهل بغداد سباحةً وفي السفن، فقُتلوا؛ وكان يوماً مشهوداً.

ولم تزل الحرب بينهم كلّ وقت، وعُمل الجسر على دِجلة وعبر عليه أكثر العسكر إلى الجانب الشرقيّ، وصار القتال في الجانبين، وبقي زين الدّين في الجانب الغربيّ، وأمر الخليفة فنودي: كلّ من جُرح فله خمسة دنانير؛ فكان كلمّا جُرح إنسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير. فاتفق أن بعض العامة جُرح جرحاً ليس بكبير،

---

(١) في الأوربية: «وعصا».

(٢) في الباريسية: «القابين والتوثة»، وفي النسخة ٧٤٠ «القلاسين»، وفي الأصل: «العلاض والونه».

(٣) في (أ): «شاه في جموعهم ووقفوا».

فحضر يطلب الدنانير. فقال له الوزير: ليس هذا الجرح بشيء؛ فعاود القتال، فضُرب، فانشقّ جوفه وخرج شيء من شحمه، فحُمل إلى الوزير فقال: يا مولانا الوزير أيُرضيك هذا؟ فضحك منه، وأضعف له، ورتّب له من يعالج جراحته إلى أن برىء.

وتعذّرت الأقوات في العسكر إلاّ أنّ اللّحم والفواكه والخُضر كثيرة، وكانت الغلاّت ببغداد كثيرة لأنّ الوزير كان يفرّقها في الجُند عِوض الدّنانير فيبيعونها، فلم تزل الأسعار عندهم رخيصة، إلاّ أنّ اللّحم والفاكهة والخُضر قليلة عندهم.

واشتدّ الحصار على أهل بغداد لانقطاع الموادّ عنهم وعدم المعيشة لأهلها؛ وكان زين الدّين وعسكر الموصل غير مُجِدّين في القتال لأجل الخليفة والمسلمين؛ وقيل لأنّ نور الدّين محمود بن زنكي، وهو أخو قُطْب الدّين، صاحب الموصل الأكبر، أرسل إلى زين الدّين يلومه على قتال الخليفة، ففتر وأقصر.

(ولم تزل الحرب في أكثر الأيام)[1]، وعمل السلطان محمّد أربعمائة سلّم ليصعد الرجال فيها إلى السور، وزحفوا، وقاتلوا، ففتح أهل بغداد أبواب البلد وقالوا: أيُّ حاجة بكم إلى السلاليم؟ هذه الأبواب مفتَّحة فادخلوا منها؛ فلم يقدروا على أن يقربوها. فبينما الأمر على ذلك إذ وصل الخبر إلى السلطان محمّد أنّ أخاه ملكشاه وإيلدكز، صاحب بلاد أرّان[2]، ومعه الملك أرسلان ابن الملك طُغُرل بن محمّد، وهو ابن امرأة إيلدكز، قد دخلوا هَمَذان واستولوا عليها، وأخذوا أهل الأمراء الذين مع محمّد شاه وأموالهم، فلمّا سمع محمّد شاه ذلك جدّ في القتال لعلّه يبلغ غرضاً، فلم يقدر على شيء، ورحل عنها نحو همذان في الرابع والعشرين من ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

وعاد زين الدّين إلى الموصل، وتفرّق ذلك الجمع على عزم العَود إذا فرغ محمّد شاه من إصلاح بلاده، فلم يعودوا يجتمعون؛ وفي كثرة حروبهم لم يُقتل بينهم إلاّ نفر يسير، وإنّما الجراح كانت كثيرة[3]، ولما ساروا نهبوا بعقوبا وغيرها من طريق خُراسان.

---

(١) من (أ).

(٢) زاد في (أ): «وأذربيجان».

(٣) في الأوربية: «كان كثيراً».

ولما رحل العسكر من بغداد أصاب أهلها أمراض شديدة حادّة، وموت كثير للشدّة التي مرّت بهم؛ وأمّا ملكشاه وإيلدكز ومَن معهما فإنّهم ساروا من هَمَذان إلى الريّ، فخرج إليهم إينانج شِحنتُها وقاتلهم فهزموه، فأنفذ السلطان محمّد الأمير سقمس بن قيماز الحرامي[1] في عسكر نجدةً لإينانج، فسار سقمس، وكان إيلدكز وملكشاه ومَن معهما قد عادوا من الريّ يريدون محاصرة الخليفة، فلقِيهم سقمس وقاتلهم، فهزموه ونهبوا عسكره وأثقالهم، فاحتاج السلطان محمّد إلى الإسراع، فسار، فلمّا بلغ حُلوان بلغه أنّ إيلدكز بالدّينَوَر، وأتاه رسول من نائبه إينانج أنّه دخل هَمَذان، وأعاد الخطبة له فيها، فقويت نفسه وهرب شملةُ، صاحب خُوزستان، إلى بلاده، وتفرّق أكثر جمع إيلدكز وملكشاه، وبقيا في خمسة آلاف فارس، فعادا إلى بلادهما شبه الهارب.

ولما رحل محمّد شاه إلى هَمَذان أراد التجهّز لقصد بلاد إيلدكز، فابتدأ به مرض السلّ، وبقي به إلى أن مات[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، أُطلق أبو البدر ابن الوزير ابن هُبَيرة من حبس تكريت؛ ولمّا قدِم بغداد خرج أخوه والموكب يتلقونه[3]، وكان يوماً مشهوداً، وكان مُقامه في الحبس يزيد على ثلاث سنين[4].

وفيها احترقت بغداد في ربيع الآخر، وكثُر الحريق بها، واحترق درب فراشا، ودرب الدّوابّ، ودرب اللّبان، وخَرابة ابن جردة[5]، والظَّفَريّة، والخاتونيّة، ودار

---

(١) في (ب): «قيماز الخرابي وكان».

(٢) المنتظم ١٠/١٦٨ ـ١٧٦ (١٨/١١١ ـ ١١٨)، زبدة التواريخ للحسيني ٢٤٧،٢٥٦، وتاريخ دولة آل سلجوق ٢٤٦ ـ ٢٥٥، كتاب الروضتين ١/٢٨٥، تاريخ الزمان لابن العبري ١٧٣، المختصر في أخبار البشر ٣/٣٠، ٣٣، العبر ٤/١٤٥، دول الإسلام ٢/٦٨، تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ٥٦٠ هـ.) ص ٩ ـ ١٢، مرآة الجنان ٣/٢٩٩، عيون التواريخ ١٢/٤٩٥ و٥٠١،٥٠٢، البداية والنهاية ١٢/٢٣٥،٢٣٦، الكواكب الدرية ١٥٤، النجوم الزاهرة ٥/٣٢٥.

(٣) في الأوربية: «يستلقونه».

(٤) المنتظم ١٠/١٦٥ (١٨/١٠٦، ١٠٧)، نهاية الأرب ٢٣/٢٩٢.

(٥) في طبعة صادر ٢١٦/١١ «حربه»، والتصحيح من (أ) و(ب) والمنتظم.

الخلافة، وباب الأَزَج، وسوق السلطان، وغير ذلك[1].

وفيها، في شوّال، قصد الإسماعيليّة طَبَس[2] بخُراسان، فأوقعوا بها وقعة عظيمة، وأسروا جماعة من أعيان دولة السلطان، ونهبوا أموالهم ودوابّهم وقتلوا فيهم.

[الوَفَيَات]

وفيها، في ذي القعدة، توفّي شيخ الإسلام أبو المعالي الحسن بن عُبيد اللّه بن أحمد بن محمّد المعروف بابن الرزّاز بنَيسابور، وهو من أعيان الأفاضل.

وفي هذه السنة توفّي مُريد الدّين بن نيسان رئيس آمدِ والحاكم فيها على صاحبها، ووليَ ما كان إليه بعده ابنه كمال الدّين أبو القاسم.

وتُوفّي أبو الحسن عليُّ بن الحسين الغَزْنَويّ[3] الواعظ المشهور، ببغداد، وكان قدِم إليها ستة ستّ عشرة وخمسمائة، وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامّة والخلفاء، إلاّ أنّ المقتفي أعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لإقبال السلطان عليه، وكان موته في المحرّم.

وتُوفّي أبو الحسن بن الخَلّ[4] الفقيه الشافعيّ، شيخ الشافعيّة ببغداد، وهو من أصحاب أبي بكر الشاشي، وجمع بين العلم والعمل، وكان يؤمّ بالخليفة في الصلاة.

وتُوفّي ابن الآمِديّ[5] الشاعر، وهو من أهل النيل[6] من أعيان الشعراء في طبقة الغزّيّ والأرّجانيّ، وكان عمر قد زاد على تسعين سنة.

وفيها قُتل مظفّر بن حمّاد بن أبي الخير[7] صاحب البَطيحة، قتله نفيس بن فضل

---

(١) في المنتظم ١٠/ ١٦٥ (١٨/ ١٠٧)، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٩٢.

(٢) في نزهة المشتاق للإدريسي (الطبعة الأوربية) ١/ ٤٥٣ «طبس».

(٣) أنظر عن (الغزنوي) في: تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٥٩، ٦٠، رقم ٢٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) هو «محمد بن المبارك بن محمد» توفي سنة ٥٥٢ هـ. أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ١٠١، ١٠٢، رقم ٧٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) هو «محمد بن الحسين أبو المكارم»، توفي سنة ٥٥٢ هـ. أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٩٥ رقم ٦٧، والوافي بالوفيات ٣/ ١٧ رقم ٧٥.

(٦) في (أ): «النبل».

(٧) في (أ): «الجبر».

ابن أبي الخير في الحمّام، ووليَ ابنه بعده[1].

وفيها تُوفّي الوأواء[2] الحلبيّ الشاعر المشهور.

وفيها، في رمضان، تُوفّي الحكيم أبو جعفر بن محمّد البخاريّ بأسْفرايين، وكان صاحب معرفة بعلوم الحكماء الأوائل.

---

(1) المنتظم ١٠/١٦٨ (١٨/ ١١٠).

(2) هو «عبد القاهر بن عبد الله بن حسين». أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٥١-٥٦٠ هـ.) ص ٥٤ رقم ٩٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٥٥٢)
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

ذكر الزلازل بالشام

في هذه السنة، في رجب، كان بالشام زلازل كثيرة قويّة خرّبت كثيراً من البلاد، وهلك فيها ما لا يُحصى كثرةً، فخرب منها بالمرّة حَماة، وشَيْزر، وكَفَرْطاب، والمَعَرّة، وأفامية، وحِمص، وحِصن الأكراد، وعِرْقَة، واللاذقيّة، وطَرابُلُس، وأنطاكية.

وأمّا ما لم يكثُر فيه الخراب ولكنْ خرب أكثره فجميع الشام، وتهدّمت أسوار البلاد والقلاع، فقام نور الدّين محمود في ذلك المقام المَرْضِيّ، وخاف على بلاد الإسلام من الفرنج حيث خربت الأسوارُ، فجمع عساكره وأقام بأطراف بلاده يغير على بلاد الفرنج ويعمل في الأسوار في سائر البلاد، فلم يزل كذلك حتى فرغ من جميع أسوار البلاد.

وأمّا كثرة القتلى، فيكفي فيه أنّ معلّماً كان بالمدينة، وهي مدينة حماة، ذُكر أنّه فارق المكتب لمهمٍّ عَرَضَ له فجاءت الزلزلة فخرّبت البلد، وسقط المكتب على الصّبيان جميعهم. قال المعلّم: فلم يأتِ أحدٌ يسأل عن صبيّ كان له[1].

---

(١) أنظر (خبر الزلازل) في: التاريخ الباهر ١١٠، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٠٨، وتاريخ الزمان له ١٧٢، ١٧٣، وكتاب الروضتين ١/ ٢٦١ - ٢٦٨، وذيل تاريخ دمشق ٣٣٧، وزبدة الحلب لابن العديم ٢/ ٣٠٦، ورحلة بنيامين التُطيلي - ترجمة عزرا حداد - طبعة بغداد ١٩٤٥ - ص ٨٧، ٨٨، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ج ١٦ ق ٢/ ورقة ٣١٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٣١، والدرة المضية ٥٦٩، ٥٧٠، والعبر ٤/ ١٤٦، ودول الإسلام ٢/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٢ هـ.) ص ١٣، ١٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٧، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٩، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٥، والبداية والنهاية ١٢/ ٢١٦، والكواكب =

ذكر مُلك نور الدين حصن شَيْزر

نبتدىء بذكر هذا الحصن، ولمن كان قبل أن يملكه نور الدّين محمود بن زنكي، فنقول: هذا الحصن قريب من حماة، بينهما نصف نهار، وهو على جبلٍ عالٍ منيع لا يُسلك إليه إلاّ من طريق واحدة. وكان لآل مُنقذ الكِنانيّين يتوارثونه من أيّام صالح بن مِرداس إلى أن انتهَى الأمر إلى أبي المُرهَف نصر بن عليّ بن المقلّد بعد أبيه أبي الحسن عليّ، فبقي (بيده إلى أن مات سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، وكان شجاعاً كريماً؛ فلمّا حضره الموت استخلف أخاه أبا سلامة مرشد بن عليّ، فقال: واللّه لا وليتُه ولأخرجنّ من الدّنيا كما دخلتُها.

وكان عالماً بالقرآن والأدب، وهو والد مؤيّد الدّولة أُسامة بن منقذ، فولاّها أخاه الأصغر سلطان بن عليّ، واصطحبا أجمل صحبة مدّة من الزمان، فأولد مرشد عدّة أولاد ذكور، وكبروا وسادوا، منهم: عزّ الدّولة أبو الحسن عليّ، ومؤيّد الدّولة أسامة وغيرهما؛ ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر إلى أن كبر فجاءه أولادٌ ذكورٌ، فحسد أخاه على ذلك، وخاف أولاد أخيه على أولاده، وسعى بينهم المفسدون فغيّروا كلاًّ منهما على أخيه، فكتب سلطان إلى أخيه مرشد أبيات شِعر يعاتبه على أشياء بلغته عنه، فأجابه بشِعرٍ في معناه رأيتُ إثبات ما تمسّ الحاجة إليه منه، وهي هذه الأبيات:

ظَلُومٌ أبَتْ في الظُّلمِ إلاّ تَمادِيا ... وَفي الصّدّ وَالهجرانِ إلاّ تناهيا

شكَتْ هجرَنا والذّنبُ في ذاكَ ذنبُها[1] ... فَيا عَجَبا من ظالمٍ جاء شاكِيَا

وطاوَعَتِ الوَاشِينَ فيّ وَطالما ... عصَيتُ عَذُولاً في هَوَاها ووَاشِيَا

وَمالَ بهَا تِيهُ الجَمَالِ إلى القِلَى ... وَهَيهاتِ أن أُمسِي لها الدّهرَ قَالِيَا

وَلا ناسِياً ما أوْدَعَتْ مِنْ عُهُودِها ... وَإنْ هيَ أبْدَتْ جَفوَةً وتَنَاسِيَا

وَلمّا أتاني مِنْ قَريضِك[2] جَوْهَرٌ ... جَمَعتَ المَعالي فيهِ لي وَالمَعانِيّا

وكنتُ هَجَرْتُ الشّعرَ حيناً لأنّهُ ... تَولّى برُغْمي حينَ وَلّى شَبابِيَا

= الدرية ١٥١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٥، وكشف الصلصلة للسيوطي ١٨٧، ١٩٢، وتاريخ ابن سباط ١/ ١٠٤ ـ ١٠٦، وشذرات الذهب ٤/ ١٦٠.

(١) في (أ): «في الهجر ذنبها».

(٢) في (ب): «قريظك».

وأَيـنَ مِـنَ السّتّيـنَ لَفـظٌ مُفَـوّقٌ إذا رُمـتُ أدنـى القـوْلِ منْـهُ عَصَـانِيَـا
وقُلـتُ: أخـي يَـرْعـى بَنـيّ وَأُسْـرَتـي وَيَحفَـظُ عَهـدي فيهِـمُ وَذِمـامِيَـا
ويجـزيهِـم مـا لـمْ أُكَلّفْـهُ فِعلَـهُ لنَفسـي فقَـد أعـدَدْتُـهُ مِـنْ تُـراثِيَـا
فَمـا لـكَ لمّـا أنْ حَنَـى الـدّهـرُ صُعـدَتـي وثَلّـمَ منـي صَـارِمـاً كـانَ مـاضِيَـا
تَنَكّـرْتَ حتـى صـارَ بِـرُّكَ قَسـوَةً وَقُـرْبُـكَ منهـم جَفـوَةً وتَنَـابِيَـا
وَأصْبَحـتُ صِفْـرَ الكَـفّ ممّـا رَجـوْتُـهُ أرَى اليـأسَ قـد عَفّـى سبيـلَ رَجـائِيَـا
علـى أنّنـي مـا حُلْـتُ عمّـا عَهِـدْتَـهُ وَلا غَيّـرَتْ هَـذي السّنـونُ وَدادِيَـا
فـلا غَـرْوَ عِنـدَ الحـادِثـاتِ، فـإنّنـي أرَاكَ يَمينـي وَالأنَـامَ شِمَـالِيَـا
تحَـلَّ بهـا[1] عَـذراء لَـوْ قُـرِنـت بهَـا نجُـومُ السّمَـاء لَـمْ تُعَـدّ دَرَارِيَـا
تَحَلّـتْ بـدُرٍّ مِـن صِفـاتِـكَ زانَهـا كمَـا زانَ مَنظُـومُ الـلآلـي الغَـوَانِيَـا
وعِـشْ بـانِيـاً للمَجْـدِ مـا كـانَ وَاهِيـاً مُشيـداً مـنَ الإحسـانِ مـا كـانَ هـاوِيَـا[2]

وكان الأمر بينهما فيه تماسك، فلمّا توفّي مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة قلب أخوه لأولاده ظهر المِجَنّ، وباداُهم بما يسوءُهم، وأخرجهم من شَيزر، فتفرّقوا، وقصد أكثرهم نورَ الدّين وشكوا إليه ما لقوا من عمّهم، فغاظه ذلك، ولم يمكنه قصده والأخذ بثأرهم وإعادتهم إلى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج، ولخوفه أن يسلّم شَيزر إلى الفرنج.

ثمّ توفّي سلطان[3]، وبقيّ بعده أولاده، فبلغ نورَ الدّين عنهم مراسلةُ الفرنج، فاشتدّ حنقه عليهم، وانتظر فرصة تمكّنه، فلمّا خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينجُ من بني منقذ الذين بها أحدٌ.

وسبب هلاكهم أجمعين أنّ صاحبها منهم كان قد ختن ولداً له، وعمل دَعوة للنّاس، وأحضر جميع بني منقذ عنده في داره، وكان له فَرَس يحبّه، ويكاد لا يفارقه، وإذا كان في مجلس أقيم الفَرَس على بابه. وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزّلزلة، فقام النّاس ليخرجوا من الدّار، فلمّا وصلوا مُجفِلين إلى الباب

---

(١) في الباريسية: «تهن عذراء»، وفي (ب): «تهن بها».
(٢) القصيدة في: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٨.
(٣) في سنة ٥٤٢ وقيل ٥٤٣ هـ.

ليخرجوا من الدّار رَمَحَ الفَرَس رجلاً كان أوّلهم فقتله، وامتنع النّاس من الخروج، فسقطت الدّار عليهم كلّهم، وخربت القلعة وسقط سورها وكلّ بناء فيها، ولم ينجُ منها إلاّ الشّريد، فبادر إليها بعض أمرائه، وكان بالقرب منها، فملكها وتسلّمها نور الدّين منه، فملكها وعمّر أسوارَها ودُورها، وأعادها جديدة[1].

ذكر وفاة الدّبيسيّ صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة

كانت الجزيرة لأتابك زنكي، فلمّا قُتل سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة] أقطعها ابنه سيف الدّين غازي للأمير أبي بكر الدّبيسيّ، وكان من أكابر أمراء والده، فبقيت بيده إلى الآن، وتمكّن منها وصار بحيث يتعذّر على قُطْب الدّين أخْذها منه، فمات في ذي الحجّة سنة إحدى وخمسين، ولم يخُلّف ولداً، فاستولى عليها مملوك له اسمه غُلبك، وأطاعه جُندها، فحصرهم مودود ثلاثة أشهر، ثمّ تسلّمها من غُلبك في صفر من سنة ثلاثٍ وخمسين، وأعطاه عِوضها إقطاعاً كثيراً.

ذكر وفاة السلطان سَنْجَر

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، تُوفّي السلطان سَنجَر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، أبو الحرث، أصابه قُولَنج، ثمّ بعده إسهال، فمات منه. ومولدُه سِنجار، من ديار الجزيرة، في رجب سنة تسعٍ وسبعين وأربعمائة، وسكن خُراسان، واستوطن مدينة مَرْو، ودخل بغداد مع أخيه السلطان محمّد، واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله، فعهِد إلى محمّد بالسلطنة وجعل سَنجر وليّ عهد.

فلمّا مات محمد، خُوطب سَنجَر بالسلطان، واستقام أمره، وأطاعه السلاطين وخُطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة، ولم يزل أمره عالياً وجدّه متراقياً إلى أن أسره الغُزّ على ما

---

(1) أنظر شعراً قاله عليّ بن مرشد ينعي دار بني منقذ وأهلها، في: المنازل والديار لأسامة بن منقذ ١/ ٥٢، ٥٣ و١٤٨، ١٤٩ و٢٠٥ و٢٨٣، ٢٧٤، و٢/ ١١٣، ١١٨، ١١٩ ومعجم الأدباء ٥/ ٢٢٠، وكتابنا: معجم الأدباء والشعراء في تاريخ لبنان (مخطوط) ترجمة «علي بن مرشد بن علي بن مقلّد ابن نصر بن منقذ».

ذكرناه، ثمّ إنّه خلّص بعد مدّة وجمع إليه أطرافه بمرو، وكاد[١] يعود إليه مُلكه، فأدركه أجَلُه، وكان مهيباً كريماً رفيقاً بالرعيّة، وكانت البلاد في زمانه آمنة.

ولما مات دُفن في قبّةٍ بناها لنفسه سمّاها دار الآخرة؛ ولما وصل خبر موته إلى بغداد قُطعت خُطبته، ولم يُجلس له في الدّيوان للعزاء[٢].

ولمّا حضر السلطانَ سَنجَر الموتُ استخلف على خُراسان الملك محمود بن محمّد بن بَغراخان وهو ابن أخت السلطان سَنجَر، فأقام بها خائفاً من الغُزّ، فقصد جرجان يستظهر بها، وعاد الغُزّ إلى مَرْوَ وخُراسان، واجتمع طائفة من عساكر خُراسان على أي أَبَه المؤيّد، فاستولى على طرفٍ من خُراسان، وبقيت خُراسان على هذا الاختلال إلى سنة أربعٍ وخمسين [وخمسمائة].

وأرسل الغُزُّ إلى الملك محمود بن محمّد وسألوه أن يحضر عندهم ليملّكوه عليهم، فلم يثق بهم[٣]، وخافهم على نفسه؛ فأرسل ابنه إليهم فأطاعوه مُديدة ثمّ لحِق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاثٍ وخمسين [وخمسمائة][٤].

ذكر ملك المسلمين مدينة المريّة وانقراض دولة الملثّمين بالأندلس

في هذه السنة انقرضت دولة الملثّمين بالأندلس، وملك أصحاب عبد المؤمن مدينة المريّة من الفرنج.

وسبب ذلك أنّ عبد المؤمن لما استعمل ابنه أبا سعيد على الجزيرة الخضراء ومالقة عبر أبو سعيد البحر إلى مالقة، واتّخذها داراً، وكاتبه ميمون بن بدر اللّمتوني، صاحب غَرناطة، أن يوحّد ويسلّم إليه غرناطة، فقبل أبو سعيد ذلك منه وتسلم غرناطة، فسار ميمون إلى مالقة بأهله وولده، فتلقّاه أبو سعيد، وأكرمه، ووجّهه إلى مَرّاكُش، فأقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثّمين ولم يبقَ لهم إلاّ جزيرة مَيورقة (مع حمُو بن غانية)[٥].

---

(١) في الأوربية: «وكان».

(٢) في (أ): «بالعزاء»، وفي (ب): «في العزاء».

(٣) في الأوربية: «إليهم».

(٤) أنظر من (السلطان سنجر) في: تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٨٢ وما بعدها، رقم ٤٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) من (أ).

فلمّا ملك أبو سعيد غَرناطة جمع الجيوش وسار إلى مدينة المرَيّة، وهي بأيدي الفرنج، أخذوها من المسلمين سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، فلمّا نازلها وافاه الأسطول من سَبْتَة وفيه خلق كثير من المسلمين، فحصروا المرّية برّاً وبحراً، وجاء الفرنج إلى حصنها، فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها، وبنى أبو سعيد سوراً على الجبل المذكور إلى البحر، وعمل عليه خندقاً، فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصورين بهذا السور والخندق، ولا يمكن مَن ينجدهما أن[1] يصل إليهما، فجمع الأذفونش ملك الفرنج بالأندلس، المعروف بالسُّلَيْطين، في اثني عشر ألف فارس من الفرنج، ومعه محمّد بن سعد بن مردنيش في ستّة آلاف فارس من المسلمين، وراموا الوصول إلى مدينة المرَيّة ودفع المسلمين عنها، فلم يطيقوا ذلك، فرجع السُّليطين وابن مردنيش خائبين، فمات السُّليطين في عَوده قبل أن يصل إلى طُليطلة.

وتمادى الحصار على المَريّة ثلاثة أشهر، فضاقت الميرة، وقلّت الأقوات على الفرنج، فطلبوا الأمان ليسلّموا الحصن، فأجابهم أبو سعيد إليه وأمّنهم، وتسلّم الحصن، ورحل الفرنج في البحر عائدين إلى بلادهم فكان مُلكهم المَرِيّة مدّة عشر سنين[2].

ذكر غزو صاحب طَبَرِستان الإسماعيليّة

في هذه السنة جمع شاه مازَنْدَران رستم بن عليّ بن شهريار عسكره، وسار ولم يُعلم أحداً جهة مقصده، وسلك المضايق، وجدّ السير إلى بلد ألَمُوت، وهي للإسماعيليّة، فأغار عليها وأحرق القرى والسواد، وقتل فأكثر، وغنم أموالهم، وسبَى نساءهم، واسترقّ أبناءهم فباعهم في السوق وعاد سالماً غانماً، وانخذل الإسماعيليّة، ودخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله، وخرّب من بلادهم ما لا يعمّر في السنين الكثيرة[3].

---

(١) في (أ): «لا يمكن أحدها أن».

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٣٠، العبر ٤/ ١٤٦، تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٩، شذرات الذهب ٤/ ١٦١.

(٣) تاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ١٢.

ذكر أخذ حُجّاج خُراسان

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، سار حُجّاج خُراسان، فلمّا رحلوا عن بِسطام أغار عليهم جمعٌ من الجند الخُراسانيّة قد قصدوا طَبَرستان، فأخذوا من أمتعتهم، وقتلوا نفراً منهم، وسلِم الباقون وساروا من موضعهم.

فبينما هم سائرون إذ طلع عليهم الإسماعيليّة، فقاتلهم الحُجّاج قتالاً عظيماً، وصبروا صبراً عظيماً، فقُتل أميرُهم، فانخذلوا، وألقوا بأيديهم، واستسلموا وطلبوا الأمان، وألقوا أسلحتهم مستأمنين، فأخذهم الإسماعيليّة وقتلوهم، ولم يُبقوا منهم إلاّ شِرذمة يسيرة؛ وقُتل فيهم من الأئمّة العلماء والزهّاد والصُلحاء جمع كثير، وكانت مصيبة عظيمة عمّت بلاد الإسلام، وخصّت خُراسان، ولم يبقَ بلدٌ إلاّ وفيه المأتم.

فلمّا كان الغد طاف شيخ في القتلى والجرحى ينادي: يا مسلمون، يا حُجّاج[1]، ذهب الملاحدة، وأنا رجل مسلم، فمَن أراد الماء سقيتُه؛ فمن كلّمه قتله وأجهز عليه، فهلكوا جميعهم إلاّ من سلم وولّى هارباً؛ وقليل ما هم[2].

ذكر الحرب بين المؤيّد والأمير إيثاق

قد ذكرنا تقدّم الأمير المؤيد أي أبَه مملوك السلطان سَنجَر، وتقدّمه على عساكر خُراسان، فحسده جماعة من الأمراء منهم الأمير إيثاق[3] وهو من الأمراء السّنجَريّة، وانحرف عنه، وكان تارة يقصد خُوارزم شاه، وتارة شاه مَازَنْدَرَان، وتارة يُظهر الموافقة للمؤيّد، ويُبطن المخالفة.

فلمّا كان الآن فارق مازَنْدَران ومعه عشرة آلاف فارس، قد اجتمع معه كلّ مَن يريد الغارة على البلاد، وكلّ منحرف عن المؤيّد، وقصد خُراسان وأقام بنواحي نَسا وأبِيوَرْد، لا يُظهر المخالفة للمؤيّد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة له، ويُبطن ضدّها.

وانتقل المؤيّد من المكاتبة إلى المكافحة، وسار إليه جريدة، فأغار عليه وأوقع

---

(١) في الأوربية: «يا مسلمين، يا حاج».

(٢) دول الإسلام ٢/٦٨، العبر ٤/١٤٦، تاريخ الإسلام (٥٥١ - ٥٦٠ هـ.) ص ١٢، مرآة الجنان ٣/٢٩٩، البداية والنهاية ١٢/٢٣٦، شذرات الذهب ٤/١٦١.

(٣) في (أ): «اناق»، وفي (ب): «إتاق».

به، فتفرّق عنه جموعه ونجا بحُشاشة نفسه، وغنم المؤيّد وعسكره كلّ ما لإيثاق، ومضى منهزماً إلى مازَندَران؛ وكان ملكها رستم بينه وبين أخ له اسمه عليّ تنازُع على الملك، وقد قوي رستم، فلمّا وصل إيثاق[1] إلى مازَندَران قتل عليّاً وحمل رأسه إلى أخيه رستم، فعظم ذلك على رستم، واشتدّ واستشاط غضباً، وقال: آكل لحمي ولا أطعمه غيري.

ولم يزل إيثاق[1] يتردّد في خُراسان بالنهب والغارة، لا سيّما مدينة أسفرايين فإنّه أكثر من قصدها حتى خربت، فراسله السلطان محمود بن محمّد والمؤيّد يدعوانه إلى الموافقة، فامتنع، فسارا إليه في العساكر، فلمّا قارباه أتاهما كثير من عسكره، فمضى من بين أيديهما إلى طَبَرستان في صفر ستة ثلاثٍ وخمسين [وخمسمائة] فتبِعاه في عساكرهما، فأرسل شاه مازَندَران يطلب الصلح، فأجاباه واصطلحوا، وحمل شاه مازندران أموالاً جليلةً وهدايا نفيسةً، وسيّر إيثاق[1] ابنَه رهينةً فعادا عنه.

ذكر الحرب بين المؤيّد وسُنقُر العَزيزيّ

كان سُنقُر العزيزيّ من أمراء السلطان سَنجَر، وممّن يناوىء أيضاً المؤيّد أي أبَه، فلمّا اشتغل المؤيد بحرب إيثاق[1] سار سنقُر من عسكر السلطان محمود بن محمّد إلى هَراة ودخلها وبها جماعة من الأتراك وتحصّن بها، فأشير عليه بأن يعتضد بالملك الحسين ملك الغُوريّة، فلم يفعل، واستبدّ بنفسه منفرداً لأنّه رأى اختلاف الأمراء على السلطان محمود بن محمّد، فطمع وحدّث نفسه بالقوّة، فقصده المؤيّد إلى هَراة، فلمّا وصل إليها قاتل مَن بها شيئاً من قتال، ثمّ إنّ الأتراك مالوا إلى المؤيّد وأطاعوه، وانقطع خبر سُنقُر العزيزيّ من ذلك الوقت، ولم يُعلم ما كان منه، فقيل: إنّه سقط من فرسه فمات؛ وقيل: بل اغتاله الأتراك فقتلوه.

وتقدّم السلطان محمود إلى ولاية هَراة في عساكره وجنوده، والتحق جماعة من عسكر سُنقُر بالأمير إيثاق، وأغاروا على طُوس وقُراها، فبطلت الزروع والحرثُ، واستولى الخرابُ على البلاد، وعمّت الفِتن أطراف خُراسان، وأصابتهم العين، فإنّهم كانوا أيّام السلطان سَنجَر في أرغد عيش وآمنه، وهذا دأب الدّنيا لا يصفو نعيمُها

---

(١) في (أ): «ايناق».

وخيرُها من كَدَر وشوائب وآفات، وقلّما يخلص شرّها من خير، نسأل اللَّه أن يُحسِن لنا العُقبَى بمحمّد وآله.

ذكر مُلك نور الدّين بَعْلَبَكّ

في هذه السنة ملك نور الدين محمود بَعْلَبَكّ وقلعتَها، وكانت بيد إنسان يقال له ضحّاك البِقاعيّ؛ منسوب إلى بِقاع بَعْلَبَكّ، وكان قد ولّاه إيّاها صاحب دمشق؛ فلمّا ملك نور الدّين دمشق امتنع ضحّاك بها، فلم يمكن نور الدّين محاصرته لقُربه من الفرنج، فتلطّف الحال معه إلى الآن، فملكها واستولى عليها[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قلع الخليفة المقتفي لأمر اللَّه باب الكعبة، وعمل عِوضه باباً مصفّحاً بالنُّقْرة المذهبّة، وعمل لنفسه من الباب الأوّل تابوتاً يُدفن فيه إذا مات[2].

[الوَفَيات]

وفيها تُوفّي محمّد بن عبد اللّطيف بن محمّد بن ثابت أبو بكر الخُجنديّ[3]، رئيس أصحاب الشافعيّ بأصفهان، وسمع الحديث بها من أبي عليّ الحدّاد، وكان صدراً مقدّماً عند السلاطين، وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض.

ووقعت لموته فتنة عظيمة بأصفهان وقُتل فيها خلق كثير.

[الغلاء بخراسان]

وفيها كان بخُراسان غلاء شديد أكلت فيه سائر الدّواب، حتّى النّاس، وكان بنَيسابور طبّاخ، فذبح إنساناً علويّاً وطبخه، وباعه في الطبيخ، ثمّ ظهر عليه أنّه فعل

---

(١) زبدة الحلب ٢/٣٠٥، كتاب الروضتين ١/٢٥٠، المختصر في أخبار البشر ٣/٣٣، نهاية الأرب ٢٧/١٦١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥١ هـ.) ص ٨، تاريخ ابن الوردي ٢/٥٩، البداية والنهاية ١٢/٢٣٦ وفيه: «وقد قيل إن ذلك كان في سنة خمسين».

(٢) نهاية الأرب ٢٣/٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) أنظر عن (الخجندي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٢ هـ.) ص ٩٨، ٩٩، رقم ٧٢ وفيه مصادر ترجمته.

ذلك، فقُتل؛ وأسفر الغلاء، وصلحت أحوال النّاس[1].

[الوفيات]

وفيها تُوفّي القاضي أبو العبّاس أحمد بن بختيار بن عليّ الماندائيّ[2] الواسطيّ قاضيها، وكان فقيهاً عالماً.

وفيها، في ربيع الآخر، تُوفّي القاضي بُرهان الدّين أبو القاسم منصور ابن أبي سعد محمّد ابن أبي نصر أحمد الصَاعديّ[3] قاضي نَيسابور، وكان من أئمّة الفقهاء الحنفيّة.

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٢ هـ.) ص ١٣، البداية والنهاية ١٢/٢٣٦.

(٢) في طبعة صادر ١١/٢٢٨، «الماندايء»، ويقال: «المَنْدائي»: بفتح الميم وسكون النون ودال مهملة، وتصّحفت هذه النسبة في (البداية والنهاية) إلى: «المارداني». وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٢ هـ.) ص ٧٥ رقم ٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (الصاعدي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٢ هـ.) ص ١٠٥، ١٠٦، رقم ٨٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٥٥٣)
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

ذكر الحرب بين سُنقُر وأرغَش

في هذه السنة كانت حربٌ شديدة بين سُنْقُر الهمذانيّ وأرغَش المسترشديّ، وسببها أنّ سُنقُر الهمذانيّ كان قد نهب سواد بغداد بطريق خُراسان، وكثُر جمْعه، فخرج الخليفة المقتفي لأمر الله، جُمادى الأولى، بنفسه يطلبه، فلمّا وصل إلى بلد اللّحف قال له الأمير خطلبرس: أنا أكفيك هذا المهمّ؛ وكان بينه وبين سُنقُر مودّة، فركب إليه، وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لأجل خروجه عن طاعة الخليفة، فأجاب سنقر إلى الطّاعة، وعاد خطلبرس وأصلح حاله مع الخليفة وأقطعه بلد اللّحف له وللأمير أرغش المسترشديّ.

فلمّا توجّها إلى اللّحف جرى بينهما منازعة، فأراد سُنقُر قبض أرغش، فرآه محترزاً، فتحاربا، واقتتلا قتالاً شديداً، وغدر بأرغش أصحابه، فعاد منهزماً إلى بغداد، وانفرد سُنقُر ببلد اللّحف وخطب فيه للملك محمّد، فسيّر من بغداد عسكراً لقتاله مقدّمهم خطلبرس، فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في آخرها سُنقُر، وقُتلت رجاله، ونهبت أمواله التي [في] العسكر، وسار هو إلى قلعة الماهكي وأخذ ما كان فيها، واستخلف فيها بعض غلمانه، وسار هو إلى همذان، فلم يلتفت إليه الملك محمّد شاه، فعاد إلى قلعة الماهكيّ وأقام بها.

ذكر الحرب بين شَملة وقايماز السلطانيّ

في هذه السنة أيضاً كان قتال بين شملة صاحب خوزستان، ومعه ابن (مَكلية، وبين قايماز السُّلطانيّ)[1] في ناحية بادرايا، فجمعا عسكرهما وسارا إليه، فأتاه الخبر

---

(١) من (أ).

بذلك وهو يشرب، فلم يحفل بذلك، وركب إليهم في نحو ثلاثمائة فارس، وكان معجباً بنفسه، فحمل عليهم واختلط بهم، فأحدقوا به، وقاتل أشدّ قتال، فانهزم أصحابه، وأُخذ هو أسيراً، فتسلّمه إنسان تُركمانيّ كان له عليه دمٌ، لأنّه قتل ابناً للتركمانيّ، فقتله بابنه وأرسل برأسه إلى محمّد شاه.

وأرسل الخليفة عسكراً ليقاتل شَملة ومَن معه، فانزاحوا من بين أيديهم، ولحِقوا بالملك ملكشاه بخُوزستان فهلك كثير منهم بالبرد[١].

ذكر معاودة الغُزّ الفتنة بخُراسان

كان الأتراك الغُزّيّة قد أقاموا ببلْخ واستوطنوها، وتركوا النهب والقتل ببلاد خُراسان، واتّفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود بن أرسلان، وكان المتولّي لأمور دولته المؤيّد أي أبَه، وعن رأيه يصدر محمود.

فلمّا كان هذه السنة، في شعبان، سار الغُزّ من بَلْخ إلى مَرْو، وكان السلطان محمود بسَرْخَس[٢] في العساكر، فسار المؤيّد في طائفة من العسكر إليهم، فأوقع بطائفةٍ منهم، وظفر بهم، ولم يزل يتبعهم[٣] إلى أن دخلوا إلى مرو أوائل رمضان، وغنم من أموالهم، وقتل كثيراً وعاد إلى سَرخَس، فاتّفق هو والسلطان محمود على قصد الغُزّ وقتالهم، فجمعا العساكر وحشدا، وسارا إلى الغُزّ، فالتقوا سادس شوّال من هذه السنة، وجرت بينهم حرب طال مداها، فبقوا يقتتلون [من] يوم الاثنين تاسع شوّال إلى نصف اللّيل من ليلة الأربعاء الحادي عشر من الشهر، تواقعوا عدّة وقعات متتابعة، ولم يكن بينهم راحة، ولا نزولٌ، إلاّ لِما لا بُدّ منه؛ انهزم الغُزّ فيها ثلاث دفعات، وعادوا إلى الحرب.

فلمّا أسفر الصبح يوم الأربعاء انكشفت الحرب عن هزيمة عساكر خُراسان وتفرُّقهم في البلاد، وظفر الغُزّ بهم، وقتلوا فأكثروا فيهم، وأمّا الجرحى والأسرى فأكثر من ذلك.

---

(١) المنتظم ١٠/١٨١ (١٨/١٢٥)، دول الإسلام ٢/٢٩، العبر ٤/١٥١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٣ هـ.) ص ١٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٥٩، النجوم الزاهرة ٥/٣٢٨.

(٢) في الجريدة الآسيوية ١٨٤٦ ـ مجلّد ٢/٤٥٣ «يستوحش».

(٣) في (أ): «بينهم».

وعاد المؤيّد ومَن سلِم معه إلى طُوس، فاستولى الغُزّ على مرو، وأحسنوا السيرة، وأكرموا العلماء والأئمّة مثل تاج الدّين أبي سعيد السّمعانيّ، وشيخ الإسلام عليّ البلْخيّ، وغيرهما؛ وأغاروا على سَرخَس، وخربت القُرى، وجلا[1] أهلها، وقُتل من أهل سَرخس نحو عشرة آلاف قتيل، ونهبوا طُوس أيضاً وقتلوا أهلها إلاّ القليل وعادوا إلى مرو.

وأمّا السلطان محمود بن محمّد الخان والعساكر التي معه فلم يقدروا على المقام بخُراسان من الغُزّ، فساروا إلى جُرجان ينتظرون ما يكون من الغُزّ؛ فلمّا دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة أرسل الغُزّ إلى السلطان محمود يسألونه أن يحضر عندهم ليملّكوه أمرهم، فلم يثِقْ بهم وخافهم على نفسه، فأرسلوا يطلبون منه أن يرسل ابنه جلال الدّين محمداً إليهم ليملّكوه أمرهم، ويصدروا عن أمره ونهيه في قليل الأمور وكثيرها، وتردّدت الرسُل، واحتاط السلطان محمود لولده بالعهد والمواثيق، وتقرير القواعد، ثمّ سيّره من جُرجان إلى خُراسان، فلمّا سمع[2] الأمراء الغُزّيّة بقدومه ساروا من مرو إلى طريقه، فالتقوه بنَيسابور، وأكرموه وعظّموه، ودخل نَيسابور، واتّصلت به العساكر الغُزّيّة، واجتمعوا عنده في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائة.

ثمّ إنّ السلطان محموداً[3] سار من جُرجان إلى خُراسان في الجيوش التي معه من الأمراء السّنجريّة، وتخلّف عنه المؤيّد أي أبَه، فوصل إلى حدود نَسا وأبيوَرْد، وأقطع نَسا لأمير اسمه عمر بن حمزة النّسَويّ، فقام في حفظها المقام المَرْضيّ، ومنع عنها أيدي المفسدين، وأقام السلطان محمود بظاهر نَسَا حتّى جُمادى الآخرة من السنة.

ولمّا كان الغُزّ بنَيسابور هذه السنة أرسلوا ألى أهل طوس يدعونهم إلى الطّاعة والموافقة، فامتنع أهل رايكان من إجابتهم إلى ذلك، واغترّوا بسور بلدهم وبما عندهم من الشجاعة والقوّة والعُدّة الوافرة والذّخائر الكثيرة، فقصدها طائفة من الغزّ

---

(١) في الأوربية: «وجلى».

(٢) في الأوربية: «سمعوا».

(٣) في الأوربية: «محمود».

وحصروهم، وملكوا البلد، وقتلوا فيهم ونهبوا وأكثروا، ثمّ عادوا إلى نَيسابور، وساروا مع جلال الدّين محمّد ابن السلطان محمود الخان إلى بَيْهَق، وحصروا سَابزَوار سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائة، فامتنع أهلها عليهم وقام بأمرهم النقيب عماد الدّين عليّ بن محمد بن يحيَى العلويّ الحسينيّ، نقيب العلويّين، واجتمعوا معه، ورجعوا إلى أمره ونهيه، ووقفوا عند إشارته، فامتنعوا على الغُزّ، وحفظوا البلد منهم، وصبروا على القتال.

فلمّا رأى الغُزّ امتناعهم عليهم وقوّتهم أرسلوا إليهم يطلبون الصلح، فاصطلحوا، ولم يُقتل من أهل سابزوار، في تلك الحروب، غير رجلٍ واحد، ورحل الملك جلال الدّين والغُزّ عن سابزوار في السابع والعشرين من جُمادى الآخرة سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائة، وساروا إلى نَسا وأَبِيوَرْد[1].

ذكر أسر المؤيّد وخلاصه

قد ذكرنا أنّ المؤيّد أي أَبَه تخلّف عن السلطان ركن [الدّين] محمود بن محمّد بجُرجان، فلمّا كان الآن سار من جُرجان إلى خُراسان، فنزل بقرية من قُرى خُبوشان، اسمها زانَك، وبها حصن، فسمع الغُزّ بوصوله إلى زانك، فساروا إليه وحصروه فيه، فخرج منه هارباً، فرآه واحد من الغُزّ، فأخذه، فوعده بمالٍ جزيل إن أطلقه، فقال الغُزّيّ: وأين المال؟ فقال: هو مودع[2] في بعض هذه الجبال.

فسار هو والغُزّيّ، فوصلا إلى جدار قرية فيها بساتين وعيون، فقال للفارس: المال[3] ها هنا؛ وصعِد الجدار ونزل من ظهره ومضى هارباً، فرأى الغُزّ قد ملأوا الأرض، فدخل قرية، فعرفه طحّانٌ فيها، فأعلم زعيم القرية به، وطلب منه مركباً، فأتاه بما أراد، وأعانه على الوصول إلى نَيسابور، فوصل إليها، واجتمعت عليه العساكر وقوي أمره وعاد إلى حاله، وأحسن إلى الطحّان، وبالغ في الإحسان إليه.

---

(١) المنتظم ١٠/١٨٩ (١٨/ ١٣٤)، العبر ٤/١٥١، دول الإسلام ٢/ ٧٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٣ هـ.) ص ٢٠ و(حوادث ٥٥٤ هـ.) ص ٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٧.

(٢) في الأوربية: «مودوع».

(٣) في (أ): «فقال للناس المال».

ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغُزّ وعَودهم إلى نَيسابور

لمّا عاد الغُزّ ومعهم الملك محمّد بن محمود الخان إلى نَسا وأَبِيوَرْد، كما ذكرناه، خرج والده السلطان محمود الخان، وكان هناك فيمن معه من العساكر الخُراسانيّة، فاجتمع بهم واتّفقت الكلمة على طاعته، وأراد عمارة البلاد وحفظها، فلم يقدر على ذلك، فلمّا اجتمعوا ساروا إلى نَيسابور، وبها المؤيّد أي أَبَه، في شعبان، فلمّا سمع بقربهم منه رحل عنها إلى خَوافَ في السادس عشر منه، ووصلوا إليها في الحادي والعشرين منه ونزلوا فيه، وخافهم النّاس خوفاً عظيماً، فلم يفعلوا بهم شيئاً، وساروا عنها في السادس والعشرين منه إلى سَرْخَس ومَرْو، وكان بها الفقيه المؤيّد بن الحسين الموفّقيّ، رئيس الشافعيّة، وله بيت قديم، وهو من أحفاد الإمام أبي سهل الصُّعْلُوكيّ، وله مصاهرة إلى بيت أبي المعالي الجُوينيّ، وهو المقدّم في البلد والمشار إليه، وله من الأتباع ما لا يُحصى.

فاتّفق أنّ بعض أصحابه قتل إنساناً من الشافعيّة، اسمه أبو الفتوح الفستقانيّ، خطأ، وأبو الفتوح هذا له تعلّق بنقيب العلويّين[1] بنَيسابور، وهو ذُخر الدّين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسينيّ، وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدّة بنَيسابور، فغضب من ذلك وأرسل إلى الفقيه المؤيّد يطلب منه القاتل ليقتصّ منه، ويتهدّده إن لم يفعل، فامتنع المؤيّد من تسليمه، وقال: لا مدخل لك مع أصحابنا، إنّما حكمك على الطائفة العلويّين؛ فجمع النقيب أصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعيّة، فاجتمعوا له وقاتلوه، فقُتل منهم جماعة، ثمّ إنّ النقيب أحرق سوق العطّارين، وأحرقوا سكّة مُعاذ وسكّة باغ ظاهر، ودار إمام الحرمَين أبي المعالي الجُوَينيّ، وكان الفقيه المؤيّد الشافعيّ بها للصهر الذي بينهم.

وعظُمت المصيبة على النّاس كافة[2]، وجمع بعد ذلك المؤيّد الفقيه جموعاً من طُوس وأسفرايين وجُوَين وغيرهم، وقتلوا واحداً من أتباع النقيب زيد يُعرف بابن الحاجيّ الأُشْنانيّ، فأهمّ العلويّة ومَن معهم، فاقتتلوا ثامن عشر شوّال من سنة أربع وخمسين [وخمسمائة]، وقامت الحرب على ساق، وأُحرقت المدارس والأسواق

---

(١) في الأوربية: «العولبين».

(٢) في الأوربية: «كافّة النّاس».

والمساجد، وكثُر القتل في الشافعيّة، فالتجأ[1] المؤيّد إلى قلعة فَرخك[2]، وقصُر باع الشافعيّة عن القتال، ثمّ انتقل المؤيّد إلى قرية من قرى طوس، وبطلت دروس الشافعيّة بنَيسابور، وخرب البلد وكثُر القتل فيه[3].

ذكر حصر صاحب خَتْلان تِرْمِذَ وعَوده وموته

في هذه السنة، في رجب، سار الملك أبو شجاع فَرُخْشَاه وهو يزعم أنّه من أولاد بَهرام جُور، وقد تقدّم ذِكره أيام كسرى أبَرْويز، إلى تِرمِذ وحصرها.

وكان سبب ذلك أنّه كان في طاعة السلطان سَنجَر. فلمّا خرج عليه الغُزّ طلبه ليحضر معه حربه لهم، فجمع عسكره، وأظهر أنّه واصلٌ (فيمَنْ عنده من العساكر إليه)[4]، وأقام ينتظر ما يكون منه، فلمّا[5] ظفر حضر، وقال له: سبقتني بالحرب؛ وإن كان الظَّفر للغُزّ قال: إنّما تأخرْتُ محبّةً وإرادة أن تملكوا؛ فلمّا انهزم سَنجَر، وكان ما ذكرناه، بقي إلى الآن، فسار إلى تِرمِذ ليحصرها، فجمع صاحبها فَيرُوزشاه أحمد بن أبي بكر بن قَماج عسكره، ولقِيه ليمنعه، فاقتتلوا، فانهزم فَيروزشاه، ومضى منهزماً لا يلوي على شيء، فأصابه في الطريق قُولنج فمات منه.

ذكر عود المؤيّد إلى نَيسابور وتخريب ما بقي منها

في هذه السنة عاد المؤيّد أي أبَه إلى نَيسابور في عساكره ومعه الإمام المؤيّد الموفّقيّ الشافعيّ الذي تقدّم ذكر الفتنة بينه وبين ذُخْر الدّين نقيب العلويّين وخروجه من نَيسابور، فلمّا خرج منها صار مع المؤيّد وحضر معه حصار نَيسابور، وتحصّن النقيب العلويّ بشارستان واشتدّ الخطْب، وطالت الحرب، وسُفكت الدّماء وهُتكت الأستار وخرّبوا ما بقي من نَيسابور من الدُّور وغيرها، وبالغ الشافعيّة ومَن معهم في الانتقام فخرّبوا المدرسة الصندليّة لأصحاب أبي حنيفة وخرّبوا غيرها وحصروا

---

(١) في الأوربية: «فالتجى».

(٢) في الجريدة الآسيوية ١٨٤٦ مجلّد ٢/ ٤٥٩ «فدخلوا».

(٣) العبر ٤/ ١٥٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٣ هـ.) ص ٢٥، مرآة الجنان ٣/ ٣٠٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٧، الكواكب الدرية ١٥٦، ١٥٧.

(٤) من (ب).

(٥) في (أ): «فإن».

قُهُنْدُز[١]، وهذه الفتنة استأصلت نَيْسابور، ثمّ رحل المؤيّد أي أَبَه عنها إلى بيهق في شوّال من سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائة؛ كان ينبغي أن تكون هذه الحوادث الغزّيّة الواقعة في سنة أربعٍ وخمسين مذكورة في سنتها، وإنّما قدّمناها ها هنا وذكرناها هاهنا ليتلو بعضها بعضاً فيكون أحسن لسياقتها[٢].

ذكر مُلك ملكشاه خوزستان

في هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان وأخذه من شملةَ التّركمانيّ، وسبب ذلك أنّ الملك محمّداً[٣] ابن السلطان محمود لما عاد من حصار بغداد، كما ذكرناه، مرض وبقي مريضاً بهَمَذان، ومضى أخوه ملكشاه إلى قُمّ وقاشان وما والاها، ، فنهبها جميعها، وصادر أهلها وجمع أموالاً كثيرةً؛ فراسله أخوه محمّد شاه يأمره بالكفّ عن ذلك ليجعله وليّ عهده في الملك، فلم يفعل، ومضى إلى أصفهان، فلمّا قاربها أرسل رسولاً إلى ابن الخُجَنديّ وأعيان البلد في تسليم البلد إليه، فامتنعوا من ذلك، وقالوا: لأخيك في رقابنا يمين، ولا نغدر به؛ فحينئذٍ شرع ملكشاه في الفساد والمصادرة لأهل القُرى.

فلمّا سمع محمد شاه الخبر سار عن همذان، وعلى مقدّمته كُرد بازوه الخادم، فتفرّقت جموع ملكشاه فانهزم إلى بغداد، فلم يتبعه محمّد شاه لمرضه، فنزل ملكشاه عند قرمسين، فلحِق به قُويدان[٤]، وكان قد فارق المقتفي لأمر اللّه، واتّفق مع سُنقُر الهَمَذانيّ، فلحِق[٥] كلاهما به، وحسّنا له قصد بغداد، فسار عن بلد خوزستان إلى واسط، ونزل بالجانب الشرقيّ، وهم على غاية الضّرّ من الجوع والبرد، فنهبوا القُرى نهباً فاحشاً، ففُتح بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير، ونجا ملكشاه ومَن سَلِم معه، وساروا إلى خُوزستان، فمنعه شملة من العبور، فراسله ليمكنه من العبور إلى أخيه

---

(١) في (أ): «قهندزها».

(٢) العبر ٤/ ١٥٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٣ هـ.) ص ٢٥، مرآة الجنان ٣/ ٣٠٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٧، الكواكب الدرية ١٥٦، ١٥٧.

(٣) في الأوربية: «محمد».

(٤) في الباريسية، وفي نسخة رقم ٧٤٠ «قويران».

(٥) في الأوربية: «فلحقا».

الملك محمّد شاه، فلم يُجِبه إلى ذلك، وكاتب حينئذٍ الأكراد الكر[1] الذين هناك، واستدعاهم إليه، ففرحوا به، ونزل إليه من تلك الجبال خلق كثير، فأطاعوه، فرحل ونزل على كَرخايا، وطلب من شَملة الحرب، فألانَ له شمة القولَ، وقال: أنا أخطب لك وأكون معك؛ فلم يقبل منه، فاضطرّ شملة إلى الحرب، فجمع عسكره وقصده، فلقيه ملكشاه ومعه سُنقُر الهمذانيّ وقُويدان[2]، وغيرهما من الأمراء، فاقتتلوا، فانهزم شملة، وقُتل كثير من أصحابه، وصعِد إلى قلعته دُندرْزين[3] وملك ملكشاه البلاد، وجبَى الأموال الكثيرة وأظهر العدل، وتوجّه إلى أرض فارس[4].

ذكر الحرب بين التركمان والإسماعيليّة بخُراسان

كان بنواحي قُهِستان طائفة من التركمان، فنزل إليهم جمع من الإسماعيليّة من قلاعهم، وهم ألف وسبعمائة، فأوقعوا بالتركمان، فلم يجدوا الرجال، وكانوا قد فارقوا بيوتهم، فنهبوا الأموال، وأخذوا النساء والأطفال، وأحرقوا ما لم يقدروا على حمله.

وعاد التركمان فرأوا ما فُعل بهم، فتبعوا أثر الإسماعيليّة، فأدركوهم وهم يقتسمون الغنيمة، فكبّروا وحملوا عليهم، ووضعوا فيهم السيف، فقتلوهم كيف شاؤوا، فانهزم الإسماعيليّة وتبِعهم التُركمان حتّى أفنوهم قتلاً وأسراً، ولم ينجُ إلاّ تسعة رجال[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كثُر فساد التُركمان أصحاب برجم الإيوائيّ بالجبل، فسُيّر إليهم من بغداد عسكر مقدّمهم منكُبرس المسترشديّ، فلمّا قاربهم اجتمع التّركمان، فالتقوا واقتتلوا هم ومنكُبرس، فانهزم التركمان أقبح هزيمة، وقُتل بعضهم، وأُسر بعض، وحُملت الرؤوس والأسارى إلى بغداد.

---

(١) في (أ): «اللر».

(٢) في الباريسية ونسخة ٤٧٠ «قويران».

(٣) في الباريسية ونسخة ٤٧٠ «ندر زين الدين وملكشاه».

(٤) المنتظم ١٠/ ١٨١ (١٨/ ١٢٥، ١٢٦).

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٣ هـ.) ص ٢١، دول الإسلام ٢/ ٦٩، ٧٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١١، العبر ٤/ ١٥١، عيون التواريخ ١٢/ ٥٠٦، مرآة الجنان ٣/ ٣٠٣، الكواكب الدرية ١٥٥.

وفيها حجّ النّاس، فلمّا وصلوا إلى مدينة النبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، أتاهم الخبر أنّ العرب قد اجتمعت لتأخذهم، فتركوا الطريق وسلكوا طريق خيبر، فوجدوا مشقّة شديدة، ونجوا من العرب[1].

[الوفيات]

وفيها تُوفّي الشيخ نصر بن منصور بن الحسين العطّار أبو القاسم الحرّانيّ[2]، ومولده بحَرّان سنة أربعٍ وثمانين وأربعمائة، وأقام ببغداد وكثُر ماله وصدقاته أيضاً، وكان يقرأ القرآن؛ وهو والد ظهير الدّين الذي حكم في دولة المستضيء بأمر اللّه على ما نذكره إن شاء اللّه.

وفيها تُوفّي أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شُعيب[3] السّجْزيّ[4] ببغداد، وهو سِجزيّ الأصل، هَرَويّ المنشإ، وكان قدِم إلى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحجّ، فسمع النّاس بها عليه صحيح البُخاريّ؛ وكان عالي الإسناد، فتأخّر لذلك عن الحجّ، فلمّا كان هذه السنة عزم على الحجّ فمات.

وفيها تُوفّي يحيَى بن سلامة[5] بن الحسن بن محمّد أبو الفضل الحَصْكَفيّ الأديب بمَيّافارقين، وله شِعر حَسَن ورسائل جيدّة مشهورة، وكان يتشيّع؛ ومولده بطَنْزَة، فمن شعره:

وخَليعٍ بِتُّ أعذُلُهُ ... وَيَرَى عَذْلي مِنَ العَبَثِ
قُلتُ: إنّ الخَمْرَ مَخبَثَةٌ ... قال: حاشاها مِنَ الخَبَثِ
قُلتُ: فالأرْفاتُ تَتْبَعُها[6] ... قال: طَيِّبُ العيشِ في الرَّفَثِ

---

(١) أنظر: المنتظم ١٠/ ١٨٢ (١٨/ ١٢٦).
(٢) أنظر عن (الحرّاني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٣ هـ.) ص ١٣٤ ـ ١٣٦ رقم ١١٥ وفيه مصادر ترجمته.
(٣) في الأوربية: «سعيب».
(٤) أنظر عن (السجزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٣ هـ.) ص ١١٢ ـ ١٢١ رقم ٩٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٥) أنظر عن (يحيى بن سلامة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥١ هـ.) ص ٧٠ ـ٧٢ رقم ٥٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٦) في تاريخ الإسلام: «تمنعها».

قلتُ: منها القَيْء، قال: أجل   شُرِّفَتْ عن مَخرَجِ الحَدَثِ
وَسأَسْلُوها[1]، فقُلْتُ: متى؟   فقال: عند الكوْنِ في الجدَثِ[2]

(١) في تاريخ الإسلام: «وسأجفوها».
(٢) الأبيات في: معجم الأدباء ٧/٢٨٢، وتاريخ الإسلام (وفيات ٥٥١ هـ.) ص ٧١، وعيون التواريخ ١٢/٥١١.

(٥٥٤)

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

ذكر مُلك عبد المؤمن مدينة المَهديّة من الفرنج ومُلكه جميع إفريقية

قد ذكرنا سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة مُلك الفرنج مدينة المَهديّة من صاحبها الحسن بن تميم بن المعزّ بن باديس الصّنهاجيّ، وذكرنا أيضاً سنة إحدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين في زَوِيلةَ المدينة المجاورة للمهديّة من القتل والنهب، فلمّا قتلهم الفرنج، ونهبوا أموالهم، هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب، وهو بمَرّاكُش، يستجيرونه، فلمّا وصلوا إليه ودخلوا عليه أكرمهم[1]، وأخبروه بما جرى على المسلمين، وأنّه ليس في ملوك الإسلام مَن يُقصَد سواه، ولا يكشف هذا الكُرَب غيره؛ فدمعت عيناه وأطرق، ثمّ رفع رأسه وقال: أبشِروا، لأنصرنكم ولو بعد حين.

وأمر بإنزالهم وأطلق لهم ألفَيْ دينار، ثمّ أمر بعمل الروايا والقِرب والحياض وما يحتاج[2] إليه العساكر في السفر، وكتب إلى جميع نوّابه في الغرب وكان قد ملك إلى قريب تُونُس، يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصّل[3] من الغلاّت، وأن يُترك في سنبله، ويخزن في مواضعه، وأن يحفروا الآبار في الطرق، ففعلوا جميع ما أمرهم به، وجمعوا الغلاّت ثلاث سنين ونقلوها إلى المنازل، وطيّنوا عليها، فصارت كأنّها تلال.

فلمّا كان في صفر من هذه السنة سار عن مَرّاكُش، وكان أكثر أسفاره في صفر، فسار يطلب إفريقية، واجتمع من العساكر مائة ألف مقاتل، ومن الأتباع والسوقة

---

(١) في المكتبة الصقلية ٣٠٣ «دخلوا إليه فأكرمهم».

(٢) في المكتبة الصقلية ٣٠٣ «تحتاج».

(٣) في المكتبة الصقلية ٣٠٤ «يحصل».

أمثالهم، وبلغ من حفظه لعساكره أنّهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذّى[1] بهم سنبلة، وإذا نزلوا صلّوا جميعهم مع إمام واحد بتكبيرة واحدة، لا يتخلّف منهم أحد كائناً[2] من كان.

وقدم بين يديه الحسن بن عليّ بن يحيَى بن تميم بن المعزّ بن باديس الصّنهاجيّ، الذي كان صاحب المهديّة وإفريقية، وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن، فلم يزل يسير إلى أن وصل إلى مدينة تُونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة، (وبها صاحبها أحمد بن خراسان)[3]، وأقبل أسطوله في البحر في سبعين شينيّاً وطريدةً وشَلَنْدَى، فلمّا نازلها أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته، فامتنعوا، فقاتلهم من الغد أشدّ قتال، فلم[4] يبقَ إلاّ أخذها، ودخول الأسطول إليها، فجاءت ريح عاصف منعت الموحّدين من دخول البلد، فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه.

فلمّا جنّ اللّيل نزل سبعة عشر رجلاً من أعيان أهلها إلى عبد المؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم، فأجابهم إلى الأمان لهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم لمبادرتهم إلى الطّاعة، وأمّا[5] ما عداهم من أهل البلد فيؤمنهم في أنفسهم وأهاليهم، ويقاسمهم على أموالهم وأملاكهم نصفَين، وأن يخرج صاحب البلد هو وأهله؛ فاستقرّ ذلك، وتسلّم البلد، وأرسل إليه مَن يمنع العسكر من الدخول[6]، وأرسل أمناءه ليقاسموا النّاس على أموالهم، وأقام عليها ثلاثة أيّام، عرض الإسلام على مَن بها من اليهود والنصارى، فمَن أسلم سلم، ومَن امتنع قُتل، وأقام[7] أهل تونُس بها[8] بأجرة تؤخذ عن[9] نصف مساكنهم[10].

---

(1) في المكتبة الصقلية ٣٠٤ «يتأذى».
(2) في الأوربية: «كائن».
(3) من (أ).
(4) في (أ) زيادة : «نزل».
(5) في الصقلية ٣٠٥ «من».
(6) زاد في الصقلية: «إليه».
(7) في الأصل: «وأقام مسكنهم»، والمثبت من (أ).
(8) «بها» ليست في الصقلية.
(9) «عن» ليست في الصقلية.
(10) أنظر حول إسلام أصل الذمة ما ذكره سبط ابن الجوزي في: مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ١٩٥ (حوادث =

وسار عبد المؤمن منها إلى المهديّة والأسطول يُحاذيه في البحر، فوصل إليها ثامن[1] عشر رجب، وكان حينئذٍ بالمهديّة أولاد ملوك الفرنج وأبطال الفرسان، وقد أخلوا زَويلة، وبينها وبين المهديّة غلوة سهم، فدخل عبد المؤمن زَويلة، وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة، ومَن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها. وانضاف إليه[2] من صنهاجة والعرب وأهل البلاد ما يخرج عن الإحصاء[3]، وأقبلوا يقاتلون المهديّة مع الأيام، فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوّة سورها وضيق موضع القتال عليها، لأنّ البحر دائر بأكثرها، فكأنّها كفّ في البحر، وزندها متّصل بالبرّ.

وكانت الفرنج تخرج شجعانهم إلى أطراف العسكر، فتنال منه وتعود سريعاً؛ فأمر عبد المؤمن أن يبنى سور في غرب المدينة يمنعهم من الخروج، وأحاط الأسطول بها في البحر، وركب عبد المؤمن في شيني، ومعه الحسن بن عليّ الذي كان صاحبها، وطاف[4] بها في البحر، فهاله ما رأى من حصانتها، وعلم أنّها لا تُفتح بقتال بَرّاً ولا بحراً، وليس لها إلاّ المطاولة، وقال للحسن: كيف نزلتَ عن مثل هذا الحصن؟ فقال: لقلّة مَن يوثق به، وعدم القوت، وحكم القدر. فقال: صدقتَ! وعاد من البحر، وأمر بجمع الغلات والأقوات وترك القتال، فلم يمضِ غير قليل حتى صار في العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير، فكان مَن يصل إلى العسكر من بعيد يقولون: متى حدثت هذه الجبال ها هنا؟ فيقال لهم: هي حنطة وشعير؛ فيعجبون من ذلك.

وتمادى الحصار، وفي مدّته أطاع سَفَاقُسُ[5] عبد المؤمن، وكذلك مدينة طرابلس، وجبال نَفُوسَة، وقصور إفريقية وما والاها[6]، وفتح مدينة قابِس[7] بالسيف، وسيّر ابنَه أبا محمّد عبد الله في جيش ففتح بلاداً، ثمّ إنّ أهل مدينة قَفْصَة لما رأوا

= سنة ٥٤٢ هـ.) وتاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٢٥٧.

(١) في (أ) والصقلية ٣٠٥ «ثاني»، وكذلك في: نهاية الأرب ٢٤/ ٣١٢.

(٢) في الصقلية: «إليهم»، وكذلك في نهاية الأرب.

(٣) في الصقلية: «الحصاء».

(٤) في الصقلية: ٣٠٦ «وأطاف».

(٥) في الصقلية: «أهل سفاقس»، وكذلك في نهاية الأرب ٢٤/ ٣١٣.

(٦) في الصقلية: «ولاها».

(٧) في الصقلية: «وفتح قابس».

تمكُّن عبد المؤمن أجمعوا على المبادرة إلى طاعته، وتسليم المدينة إليه، فتوجّه صاحبها يحيَى بن تميم بن المعزّ، ومعه جماعة من أعيانها، وقصدوا عبد المؤمن، فلمّا أعلمه حاجبه بهم[١] قال له عبد المؤمن: قد اشتبه عليك، ليس هؤلاء أهل قَفْصَة؛ فقال له: لم يشتبه عليّ، قال له عبد المؤمن: كيف يكون ذلك والمهدي يقول إنّ أصحابنا يقطعون أشجارها ويهدمون أسوارها، ومع هذا فنقبل منهم ونكفّ عنهم ليقضي اللّه أمراً كان مفعولاً. فأرسل إليهم طائفة من أصحابه، ومدحه شاعر منهم بقصيدة أوّلها:

مـا هـزّ عطفيـه بيـنَ البِيضِ والأسَـلِ ... مثلُ الخليفةِ عبدِ المؤمنِ بنِ علي[٢]

فوصله بألف دينار.

ولمّا كان في الثاني والعشرين من شَعبان من السنة جاء أسطول صاحب صقلّية في مائة وخمسين شينيّاً[٣] غير الطرائد، وكان قدومه من جريرة يابسة من بلاد[٤] الأندلس وقد سبَى[٥] أهلها وأسرهم وحملهم معه، فأرسل إليهم ملك الفرنج يأمرهم بالمجيء إلى المهديّة، فقدِموا في التاريخ، فلمّا قاربوا المهديّة حطّوا شُرُعهم ليدخلوا الميناء، فخرج إليهم أسطول عبد المؤمن، وركب العسكر جميعه، ووقفوا على جانب البحر، فاستعظم الفرنج ما رأوه[٦] من كثرة العساكر، ودخل الرعب قلوبهم، وبقي عبد المؤمن يُمَرّغ وجهه على الأرض، ويبكي ويدعو للمسلمين بالنصر، واقتتلوا في البحر، فانهزمت شواني الفرنج، وأعادوا القلوع، وتبِعهم المسلمون، فأخذوا منهم سبع شوانٍ[٧]، ولو كان معهم قلوع لأخذوا أكثرها[٨]، وكان أمراً عجيباً[٩]، وفتحاً قريباً.

---

(١) «بهم» ليست في الصقلية.

(٢) البيت في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (٥٥١ ـ٥٦٠ هـ.) ص ٢٥٦.

(٣) في المكتبة الصقلية ٣٠٧ «شيني».

(٤) في المكتبة الصقلية ٣٠٧ «بلد».

(٥) في المكتبة الصقلية ٣٠٧ «سبا».

(٦) في المكتبة الصقلية ٣٠٧ «رأوا».

(٧) في المكتبة الصقلية ٣٠٧ «شواني».

(٨) في المكتبة الصقلية: «أكثرهم».

(٩) في الأوربية: «مجيباً».

وعاد أسطول المسلمين مظفّراً منصوراً، وفرّق فيهم عبد المؤمن الأموال؛ ويئس أهل المهديّة حينئذٍ من النجدة، وصبروا على الحصار ستّة أشهر إلى آخر شهر[١] ذي الحجّة من السنة، فنزل حينئذٍ من فرسان الفرنج إلى عبد المؤمن عشرة، وسألوا الأمان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها ويعودوا إلى بلادهم، وكان قوتهم قد فني حتى أكلوا الخيل، فعرض عليهم الإسلام، ودعاهم إليه، فلم يجيبوا، ولم يزالوا يتردّدون إليه أيّاماً واستعطفوه[٢] بالكلام الليّن، فأجابهم إلى ذلك، وأمّنهم وأعطاهم سفناً فركبوا فيها وساروا، وكان الزمان شتاء، فغرق أكثرهم ولم يصل منهم إلى صَقلّية إلاّ النفر اليسير.

وكان صاحب صَقلّية قد قال: إن قتل عبد المؤمن أصحابنا[٣] بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين هم[٤] بجزيرة صقلّية، وأخذنا حُرَمهم وأموالهم؛ فأهلك اللّه الفرنج غرقاً، وكانت[٥] مدّة ملكهم المهديّة اثنتي[٦] عشرة سنة.

ودخل عبد المؤمن المهديّة بُكرة عاشوراء من المحرّم سنة خمسٍ[٧] وخمسين وخمسمائة، وسمّاها عبد المؤمن سنة الأخماس، وأقام بالمهديّة عشرين يوماً، فرتّب أحوالها، وأصلح ما انثلم من سورها، ونقل إليها الذخائر من الأقوات والرجال والعُدد، واستعمل عليها بعضَ أصحابه[٨]، وجعل معه الحسن بن عليّ الذي كان صاحبها، وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله، وأقطع الحسن بها أقطاعاً، وأعطاه دُوراً نفيسةً يسكنها، وكذلك فعل بأولاده، ورحل من المهديّة أوّل صفر من السنة إلى بلاد الغرب[٩].

---

(١) «شهر» ليست في الصقلية.

(٢) في المكتبة الصقلية ٣٠٧ «ويستعطفوه».

(٣) في المكتبة الصقلية ٣٠٨ «من أصحابنا».

(٤) «هم» ليست في الصقلية.

(٥) في الصقلية: «وكان».

(٦) في الأوربية: «اثني».

(٧) في البداية والنهاية ١٢/ ٢٤ «أربع».

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن فرج، كما في نهاية الأرب ٢٤/ ٣١٤.

(٩) أنظر الخبر في: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زَرْع (طبعة ١٣٠٥ هـ.) ص ١٤، والمؤنس في تاريخ إفريقية والأندلس لابن أبي دينار ١١١، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (طبعة أوربا) ـ ص ٢٢٨ (سنة =

ذكر إيقاع عبد المؤمن بالعرب

لمّا فرغ عبد المؤمن من أمر المهديّة وأراد العَود إلى الغرب جمع أمراء العرب من بني رياح الذين كانوا بإفريقية، وقال لهم: قد وجبت علينا نُصرة الإسلام، فإنّ المشركين قد استفحل أمرهم بالأندلس، واستولوا على كثيرٍ من البلاد التي كانت بأيدي المسلمين. وما يقاتلهم أحد مثلكم، فبكم فُتحت البلاد أوّل الإسلام، وبكم يُدفع عنها العدوّ الآن، ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون في سبيل الله. فأجابوا بالسمع والطاعة، فحلّفهم على ذلك بالله تعالى، وبالمُصحف، فحلفوا، ومشوا معه إلى مضيق جبل زَغْوَان[1].

وكان منهم إنسان يقال له يوسف بن مالك، وهو من أمرائهم ورؤوس القبائل فيها، فجاء إلى عبد المؤمن باللّيل وقال له سرّاً: إنّ العرب قد كرهت المسير إلى الأندلس. وقالوا: ما غرضه إلاّ إخراجنا من بلادنا، وإنّهم لا يفون بما حفلوا عليه؛ فقال: يأخذ الله، عزّ وجلّ، الغادر. فلمّا كانت اللّيلة الثانية هربوا إلى عشائرهم، ودخلوا البرّ، ولم يبقَ منهم إلاّ يوسف بن مالك، فسماه عبد المؤمن: «يوسف الصادق».

ولم يُحدِث عبد المؤمن في أمرهم شيئاً، وسار مغرّباً يحثّ السير حتّى قرُب من القسنطينة، فنزل في موضع مخصب يقال له: وادي النساء، والفصل ربيع، والكلأ مستحسَن، فأقام به وضبط الطُّرق، فلا يسير من العسكر أحد البتّة، ودام ذلك عشرين يوماً، فبقي النّاس في جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبراً مع كثرته وعِظَمه، ويقولون: ما أزعجه إلاّ خبرٌ وصله من الأندلس، فحثّ لأجله السير، فعادت العرب الذين جفلوا منه من البرّيّة إلى البلاد لمّا أمِنوا جانبه، وسكنوا البلاد التي ألِفوها، واستقرّوا في البلاد.

= ٥٥٣ هـ.)، ونهاية الأرب ٢٤/ ٣١٠ـ٣١٥، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٤٤، ٢٤٥ و٦/ ٣٣٧، والاستقصا لأخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري (طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء)، وتاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٢٧، ٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١١، والروض المعطار للحميري ٥٦٢.

(١) زَغْوان: جبل عالٍ بين تونس والقيروان بحذاء جزيرة شريك. (البكري ٤٥، الإدريسي ١١٩، الحميري ٢٩٤).

فلمّا علم عبد المؤمن برجوعهم جهّز إليهم ولدَيْه أبا محمّد وأبا عبد اللّه في ثلاثين ألف مقاتل من أعيان الموحّدين وشجعانهم، فجدّوا السير، وقطعوا المفاوز، فما شعَرَ العرب إلاّ والجيش قد أقبل بغتةً من ورائهم، من جهة الصحراء، ليمنعوهم الدخول إليها إن راموا ذلك.

وكانوا قد نزلوا جنوباً من القَيْروان عند جبل يقال له جبل القَرن، وهم زُهاء ثمانين ألف بيت، والمشاهير من مقدّميهم: أبو محفوظ مُحرز بن زيّاد، ومسعود بن زمام، وجُبارة بن كامل وغيرهم، فلمّا أطلّت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا، واختلفت كلمتهم، ففر مسعود وجبارة بن كامل ومن معهما من عشائرهما، وثبت محرز بن زياد، وأمرهم بالثبات والقتال، فلم يلتفتوا إليه، فثبت هو ومَن معه من جمهور العرب، فناجزهم الموحّدون القتال في العشر الأوسط من ربيع الآخر من السنة، وثبت الجمعان. واشتدّ العراك بينهم وكثُر القتل، فاتّفق أنّ محرز بن زيّاد قُتل، ورُفع رأسه على رمح، فانهزمت جموع العرب عند ذلك، وأسلموا البيوت والحريم والأولاد والأموال، وحُمل جميع ذلك إلى عبد المؤمن وهو بذلك المنزل، فأمر بحفظ النساء العربيات الصرائح، وحملهنّ معه تحت الحفظ والبرّ والصيانة إلى بلاد الغرب، وفعل معهنّ مثل ما فعل في حريم الأبثج.

ثمّ أقبلت إليه وفود رِياح مهاجرين في طلب حريمهم كما فعل الأبثج، فأجمل الصنيع لهم، وردّ الحريم إليهم، فلم يبقَ منهم أحدٌ إلاّ صار عنده، وتحت حكمه، وهو يخفض لهم الجناح ويبذل فيهم الإحسان، ثمّ إنّه جهّزهم إلى ثغور الأندلس على الشرط الأوّل، وجُمعت عظام العرب المقتولين في هذه المعركة عند جبل القرن، فبقيت دهراً طويلاً كالتلّ العظيم يلوح للناظرين من مكانٍ بعيد، وبقيت إفريقية مع نوّاب عبد المؤمن آمنةً ساكنةً لم يبقَ فيها من أمراء العرب خارجاً عن طاعته إلاّ مسعود بن زِمام، وطائفته في أطراف البلاد[1].

ذكر غرق بغداد

في هذه السنة، ثامن ربيع الآخر، كثُرت الزيادة في دجلة، وخرق القورج فوق

---

(١) الخبر في: الأنيس المطرب ١٤٠ ونهاية الأرب ٢٤/ ٣١٥ ـ٣١٧، والاستقصا ٢/ ١٢٥.

بغداد، وأقبل المدّ إلى البلد، فامتلأت الصّحارى وخندق البلد، وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر الشهر، فوقع بعض السور عليها فسدّها، ثمّ فتح الماء فتحة أخرى، وأهملوها ظنّاً أنّها تنفس عن السور لئلاّ يقع، فغلب الماء، وتعذّر سدّه، فغرق قَراح ظَفَر، والأجَمَة والمُختارة، والمُقتَديّة، ودَرب القَبّار[1]، وخَرابة ابن جُردة[2]، والرّيّان، وقَراح القاضي، وبعض القطيعة، وبعض باب الأَزَج، وبعض المأمونيّة، وقَراح أبي الشّحم، وبعض قَراح ابن رَزِين، وبعض الظَّفَريّة.

ودبّ الماء تحت الأرض إلى أماكن فوقعت، وأخذ النّاس يعبرون إلى الجانب الغربيّ، فبلغت المعبرة عدّة دنانير، ولم يكن يقدر عليها، ثمّ نقص الماء وتهدّم السور وبقي الماء الذي داخل السور يدبّ في المحالّ التي لم يركبها الماء، فكثُر الخراب، وبقيت المحالّ لا تُعرف إنّما هي تُلُولٌ، فأخذ النّاس حدود دُورهم بالتّخمين.

وأمّا الجانب الغربيّ فغرقت فيه مقبرة أحمد بن حَنْبَل وغيرُها من المقابر، وانخسفت القبور المبنيّة، وخرج الموتَى على رأس الماء، وكذلك المشهد والحربيّة، وكان أمراً عظيماً[3].

ذكر عود سُنقُر الهمذانيّ إلى اللّحف وانهزامه

في هذه السنة عاد سنقر الهمذانيّ إلى إقطاعه، وهو قلعة الماهكيّ وبلد اللّحف، وكان الخليفة قد أقطعه للأمير قايماز العميديّ، ومعه أربعمائة فارس، فأرسل إليه سُنقُر يقول له: ارحل عن بلدي؛ فامتنع، فسار إليه، وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميديُّ، ورجع إلى بغداد بأسوإ حال.

فبرز الخليفة، وسار في عساكره إلى سُنقُر، فوصل إلى النعمانيّة وسيّر العساكر مع ترشك ورجع إلى بغداد، ومضى ترشك نحو سنقر الهمذانيّ، فتوغّل سُنقُر في الجبال هارباً، ونهب ترشك ما وجد له ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك، وأسر

---

(١) في (أ): «القيار».

(٢) في (ب): «حردة»، وفي الباريسية، والنسخة ٧٤٠ «جودة».

(٣) المنتظم ١٠/ ١٩٠ (١٨/ ١٣٥)، مرآة الزمان ٨/ ٢٣٢، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٩٣، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٤ هـ) ص ٢٤، الكواكب الدرية ١٥٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٩، شذرات الذهب ٤/ ١٦٩.

وزيره، وقتل مَن رأى من أصحابه، ونزل على الماهكي وحصرها أيّاماً، ثمّ عاد إلى البَندنِيجَين، وأرسل إلى بغداد بالبشارة.

وأمّا سُنقُر فإنّه لحق بملكشاه فاستنجده، فسيّر معه خمس مائة فارس، فعاد ونزل على قعلة هناك، وأفسد أصحابه في البلاد، وأرسل ترشك [إلى] بَغداد يطلب نجدة، فجاءته، فأراد سُنقُر أن يكبس ترشك، فعرف ذلك، فاحترز، فعدل سُنقُر إلى المخادعة، فأرسل رسولاً إلى ترشك يطلب منه أن يصلح حاله مع الخليفة، فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمَن خفّ من أصحابه، فكبس سُنقُر ليلاً، فانهزم هو وأصحابه، وكثُر القتل فيهم، وغنم ترشك أموالهم ودوابّهم وكلّ ما لهم ونجا سُنقُر جريحاً.

ذكر الفتنة بين عامّة استراباذ

في هذه السنة وقع في استراباذ فتنة عظيمة بين العلويّين ومَن يتبعهم من الشيعة وبين الشافعيّة ومَن معهم. وكان سببها أنّ الإمام محمّداً[1] الهَرَويّ وصل إلى استراباذ، فعقد مجلس الوعظ، وكان قاضيها أبو نصر سعد بن محمّد بن إسماعيل النعيميّ شافعيّ المذهب أيضاً، فثار العلويّون ومَن يتبعهم من الشيعة بالشافعيّة ومَن يتبعهم باستراباذ، ووقعت بين الطائفتَين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويّون، فقُتل من الشافعيّة جماعة، وضُرب القاضي ونُهبت داره ودُور مَن معه، وجرى عليهم من الأمور الشنيعة ما لا حدّ عليه.

فسمع شاه مازَنْدَران الخبر فاستعظمه، وأنكر على العلويّين فِعلهم، وبالغ في الإنكار مع أنّه شديد التشيّع، وقطع عنهم جرايات كانت لهم، ووضع الجبايات والمصادرات على العامّة، فتفرّق كثير منهم وعاد القاضي إلى منصبه وسكنت الفتنة.

ذكر وفاة الملك محمّد بن محمود بن محمّد بن ملشكاه[2]

في هذه السنة، في ذي الحجّة، تُوفّي السلطان[3] محمّد بن محمود بن محمّد،

---

(١) في الأوربية: «محمد».

(٢) في (أ): «ملكشاه وملك عمه سليمان شاه بن محمد».

(٣) في (أ): «الملك».

وهو الذي حاصر بغداد طالباً السلطنة وعاد عنها، فأصابه سلّ، وطال به، فمات بباب هَمَذان، وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

فلمّا حضره الموت أمر العساكر فركبت وأحضر أمواله وجواهره وحظاياه ومماليكه، فنظر إلى الجميع من طَيّارة تُشرف على ما تحتها، فلمّا رآه بكى، وقال: هذه العساكر والأموال والمماليك والسراري ما أرى[1] يدفعون عنّي مقدار[2] ذرّة، ولا يزيدون من أجلي لحظةً. وأمر بالجميع فرُفع بعد أن فرّق منه شيئاً كثيراً.

وكان حليماً كريماً عاقلاً كثير التأنّي في أموره؛ وكان له ولد صغير، فسلّمه إلى آقسُنقر الأحمديليّ وقال له: أنا أعلم أنّ العساكر لا تطيع مثل هذا الطفل، وهو وديعة عندك، فارحل به إلى بلادك. فرحل إلى مَراغة، فلمّا مات اختلفت الأمراء، فطائفة طلبوا ملكشاه أخاه، وطائفة طلبوا سليمان شاه، وهم الأكثر، وطائفة طلبوا أرسلان الذي مع إيلدكز؛ فأمّا ملكشاه فإنّه سار من خوزستان، ومعه دكلا صاحب فارس، وشملة التركمانيّ وغيرهما، فوصل إلى أصفهان، فسلّمها إليه ابن الخُجنديّ، وجمع له مالاً أنفقه عليه، وأرسل إلى العساكر بهمذان يدعوهم إلى طاعته، فلم يجيبوه لعدم الاتّفاق بينهم، ولأنّ أكثرهم كان يريد سليمان شاه[3].

ذكر أخذ حَرّان من نور الدين وعودها إليه

في هذه السنة مرض نور الدّين محمود بن زنكي، صاحب حلب، مرضاً شديداً وأُرجف بموته؛ وكان بقلعة حلب، ومعه أخوه الأصغر أمير أميران، فجمع النّاس وحصر القلعة، وكان شِيركُوه، وهو أكبر أمرائه، بحمص، فبلغه خبر موته، فسار إلى دمشق ليتغلّب عليها وبها أخوه نجم الدّين أيّوب، فأنكر عليه أيّوب ذلك وقال: أهلكتَنا! والمصلحةُ أن تعود إلى حلب، فإن كان نور الدّين حيّاً خدمتَه في (هذا)[4] الوقت، وإن كان قد مات فإنّا في دمشق نفعل ما نريد من مُلكها؛ فعاد إلى حلب

(١) في الباريسية: رقم ٧٤٠ «أرد».
(٢) في الباريسية رقم ٧٤٠: «مثقال».
(٣) أنظر عن (الملك محمد السلجوقي) في: تاريخ دولة آل سلجوق ٢٦٢، ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (٥٥٤ هـ.) ص ١٥٣ رقم ١٤٥، ونهاية الأرب ٢٣/ ٢٩٣.
(٤) من (ب).

مُجِدّاً، وصعِد القلعة، وأجلس نور الدّين في شبّاك يراه النّاس، وكلّمهم، فلمّا رأوه حيّاً تفرّقوا عن أخيه أمير أميران، فسار إلى حرّان فملكها.

فلمّا عُوفي نور الدّين قصد حَرّان ليخلّصها[1]، فهرب أخوه منه، وترك أولاده بحَرّان في القلعة، فملكها نور الدّين، وسلّمها إلى زين الدّين عليّ نائب أخيه قُطب [الدّين]، صاحب الموصل، ثمّ سار نور الدّين بعد أخذ حَرّان إلى الرَّقّة، وبها أولاد أميرك الجاندار، وهو من أعيان الأمراء، وقد تُوفّي وبقي أولاده، فنازلها، فشفع جماعة من الأمراء فيهم، فغضب من ذلك، وقال: هَلاّ شفعتم في أولاد أخي لمّا أخذت منهم حَرّان، وكانت الشفاعة فيهم من أحبّ الأشياء إليّ! فلم يشفّعهم وأخذها منهم[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة مرض الخليفة المقتفي لأمر اللّه، واشتدّ مرضه، وعوفي فضُربت البشائر ببغداد، وفُرّقت الصدقات من الخليفة ومن أرباب الدّولة، وغُلق[3] البلد أسبوعاً[4].

وفيها عاد ترشك إلى بغداد، ولم يشعر به أحدٌ إلاّ وقد ألقى نفسه تحت التّاج ومعه سيف وكَفَن، وكان قد عصى على الخليفة والتحق بالعجم، فعاد الآن فرضي عنه، وأذِن له في دخول دار الخلافة وأُعطي مالاً[5].

وفيها، في جُمادى الأولى، أرسل محمّد (بن أنز)[6] صاحب قُهِستان عسكراً إلى بلد الإسماعيليّة ليأخذ منهم الخراج الذي عليهم، فنزل عليهم الإسماعيليّة من الجبال، فقتلوا كثيراً من العسكر، وأسروا الأمير الذي كان مقدّماً عليهم اسمه قيبة، وهو صِهر

---

(١) في (ب): «ليحاصرها».

(٢) ذيل الروضتين ١/ ٣٠٥، ٣٠٦، ذيل تاريخ دمشق ٣٥٥، مرآة الزمان ٨/ ٢٣٢، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٤ هـ.) ص ٢٥، ٢٦، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١١، عيون التواريخ ١٢/ ١٧.

(٣) في (أ): «وعلق» (بالعين المهملة).

(٤) المنتظم ١٠/ ١٨٨، ١٨٩، (١٨/ ١٣٤).

(٥) المنتظم ١٠/ ١٨٩ (١٨/ ١٣٤)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٤ هـ.) ص ٢٣، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٩٣.

(٦) من (أ).

ابن أنز[1]، فبقي عندهم أسيراً عدّة شهور، حتّى زوّج ابنته من رئيس الإسماعيليّة عليّ بن الحسن، وخلّص من الأسر.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي شرف الدين عليُّ بن أبي القاسم منصور بن أبي سعد الصاعديّ[2] قاضي نَيْسابور في شهر رمضان، وكان موته بالرّيّ، ودُفن في مقبرة محمّد بن الحسن الشيبانيّ، صاحب أبي حنيفة، رضي اللّه عنهما، وكان القاضي حنفيّاً أيضاً.

(١) في (أ): «أنر» بالراء المهملة.
(٢) تقدّمت وفاة والده في سنة ٥٥٢ هـ.

(٥٥٥)

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

ذكر مسير سليمان شاه إلى همذان

في أوائل هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل إلى هَمَذان ليتولّى السلطنة، وقد تقدّم سبب قبضه وأخذه إلى الموصل.

وسبب مسيره إليها أنّ الملك محمّداً[1] ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه لمّا مات أرسل أكابر الأمراء من همذان إلى أتابك قُطب الدّين مودود بن زنكي، صاحب الموصل، يطلبون منه إرسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملكشاه إليهم ليولّوه السلطنة، فاستقرّت القاعدة بينهم أن يكون سليمان شاه سلطاناً وقطب الدّين[2] أتابكه، وجمال الدّين وزير قُطب الدّين وزيراً للملك سليمان شاه، وزين الدّين عليّ أمير العساكر الموصليّة مقدّم جيش سليمان شاه، وتحالفوا على هذا، وجهّز سليمان شاه بالأموال الكثيرة والبَرك والدّوابّ والآلات، وغير ذلك ممّا يصلح للسلاطين، وسار معه زين الدّين عليّ في عسكر الموصل إلى همذان.

فلمّا قاربوا بلاد الجبل أقبلت العساكر إليهم أرسالاً كلّ يوم يلقاه طائفة وأمير، فاجتمع مع سليمان شاه عسكرٌ عظيم، فخافهم زين الدّين على نفسه لأنّه رأى من تسلّطهم على السلطان واطّراحهم للأدب معه ما أوجب الخوف منه، فعاد إلى الموصِل، فحين عاد عنه لم ينتظم أمره، ولم يتمّ له ما أراده، وقبض العسكر عليه بباب همذان في شوّال سنة ستّ وخمسين [وخمسمائة]، وخطبوا لأرسلان شاه ابن الملك طُغرُل، وهو الذي تزوّج إيلدكز بأمّه، وسيُذكر مشروحاً إن شاء اللّه تعالى[3].

---

(١) في الأوربية: «محمد».

(٢) في (ب): «قطب الدين مودود».

(٣) أنظر: التاريخ الباهر ١١٤، ١١٥ والمنتظم ١٠/ ١٩٢! (١٨/ ١٣٨)، زبدة التواريخ للحسيني =

ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويّين

في هذه السنة، في صفر، توفّي الفائز بنصر اللّه[1] أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر، صاحب مصر، وكانت خلافته ستّ سنين ونحو شهرَين؛ وكان له لمّا وليَ خمس سنين، كما ذكرناه. ولما مات دخل الصالح بن رزّيك القصر، واستدعى خادماً كبيراً، وقال له: مَن هاهنا يصلح للخلافة؟ فقال: هاهنا جماعة؛ وذكر أسماءهم، وذكر له منهم إنساناً كبير السنّ، فأمر بإحضاره، فقال له بعض أصحابه سرّاً: لا يكون عبّاس أحزم منك حيث اختار الصغير وترك الكُبّار واستبدّ بالأمر؛ فأعاد الصالح الرجل إلى موضعه، وأمر حينئذٍ بإحضار العاضد لدين اللّه أبي محمّد عبد اللّه بن يوسف بن الحافظ، ولم يكن أبوه خليفة، وكان العاضد ذلك الوقت مراهقاً قارب البلوغ، فبايع له بالخلافة، وزوّجه الصالح ابنتَه، ونقل معها من الجهاز ما لا يُسمع بمثله، وعاشت بعد موت العاضد وخروج الأمر من العلويّين إلى الأتراك وتزوّجت.

ذكر وفاة الخليفة المقتفي لأمر اللّه وشيء من سيرته

في هذه السنة، ثاني ربيع الأوّل، تُوفّي أمير المؤمنين المقتفي لأمر اللّه[2] أبو عبد اللّه محمد بن المستظهر باللّه أبي العبّاس أحمد بن المقتدي بأمر اللّه، رضي اللّه عنه، بعلة التّراقي؛ وكان مولده ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وأمّه أمّ ولد تُدعى[3] ياعي؛ وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستّة عشر يوماً، ووافق أباه المستظهر باللّه في علّة التّرافي وماتا جميعاً في ربيع الأوّل.

وكان حليماً كريماً عادلاً حسن السيرة من الرجال ذوي الرأي والعقل الكثير. وهو أوّل مَن استبدّ بالعراق منفرداً عن سلطانٍ يكون معه من أوّل أيام الدّيلم إلى الآن،

= ٢٥٥، ٢٥٦، راحة الصدور للراوندي ٣٨٣، العبر ٤/ ١٥٦، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٥ هـ.) ص ٢٩، دول الإسلام ٢/ ٧١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٢، شذرات الذهب ٤/ ١٧٢.

(١) أنظر عن (وفاة الفائز بنصر الله) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٥ هـ.) ص ٣٠، ووفيات ٥٥٥ هـ. ص ١٦٥ ـ ١٦٨ رقم ١٦٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (وفاة المقتفي لأمر الله) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٥ هـ.) ص ٢٩، ووفيات ٥٥٥ هـ. ـ ص ١٧١ ـ ١٧٥ رقم ١٧٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في (أ) «تدعى ست السادة نزهة حبشية».

وأوّل خليفة تمكّن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكّم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر[1] إلى الآن، إلاّ أن يكون المعتضد، وكان شجاعاً مقداماً مُباشراً للحروب بنفسه، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتّى كان لا يفوته منها شيء.

ذكر خلافة المستنجد بالله

وفي هذه السنة بويع المستنجد بالله أمير المؤمنين، واسمه يوسف، وأمّه أمّ ولد تُدعى طاوُوس، بعد موت والده؛ وكان للمقتفي حظيّة، وهي أمّ ولده أبي عليّ، فلمّا اشتدّ مرض المقتفي وأيست منه أرسلت إلى جماعة من الأمراء وبذلت لهم الإقطاعات الكثيرة والأموال الجزيلة ليُساعدوها على أن يكون ولدها الأمير أبو عليّ خليفةً. قالوا: كيف الحيلة مع وليّ العهد؟ فقالت: إذا دخل على والده قبضتُ عليه. وكان يدخل على أبيه كلّ يوم. فقالوا: لا بُدّ لنا من أحد من أرباب الدّولة؛ فوقع اختيارهم على أبي المعالي ابن إلْكِيا الهَراسيّ[2]، فدعوه إلى ذلك، فأجابهم على أن يكون وزيراً، فبذلوا له ما طلب.

فلمّا استقرّت القاعدة بينهم وعلمت أمّ أبي عليّ أحضرت عدّة من الجواري وأعطتهنّ السكاكين، وأمرتهنّ بقتل وليّ العهد المستنجد بالله. وكان له خِصيّ صغير يرسله كلّ وقت يتعرّف أخبار والده، فرأى الجواري بأيديهنّ السكاكين، ورأى بيد أبي عليّ وأمّه سيفَين، فعاد إلى المستنجد فأخبره؛ وأرسلت هي إلى المستنجد تقول له إنّ والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده، فاستدعى أستاذ الدّار عضُد الدّين وأخذه معه وجماعة من الفرّاشين، ودخل الدّار وقد لبس الدّرع وأخذ بيده السيف، فلمّا دخل ثار به الجواري، فضرب واحدةً منهنّ فجرحها، وكذلك أخرى، فصاح ودخل أستاذ الدّار ومعه الفرّاشون، فهرب الجواري، وأخذ أخاه أبا عليّ وأمّه فسجنهما، وأخذ الجواري فقتل منهنّ، وغرّق منهنّ[3] ودفع الله عنه.

فلمّا تُوفي المقتفي لأمر الله جلس للبَيعة، فبايعه أهله وأقاربه، وأوّلهم عمّه أبو

---

(١) في (أ): «المستنصر بن الموكل».
(٢) في (أ): «الهراس».
(٣) في (أ): «وغرق جماعة منهن».

طالب، ثمّ أخوه أبو جعفر بن المقتفي، وكان أكبر من المستنجد، ثمّ بايعه الوزير ابن هُبَيرة، وقاضي القضاة، وأرباب الدّولة والعلماء، وخُطب له يوم الجمعة، ونُثِرت الدّنانير والدّراهم.

حكى عنه الوزير عون الدّين بن هُبيرة أنّه قال: رأيتُ رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، في المنام منذ خمس عشرة سنة، وقال لي: يبقى أبوك في الخلافة خمس عشرة سنة؛ فكان كما قال، صلّى اللّه عليه وسلّم. قال: ثمّ رأيتُه قبل موت أبي المقتفي بأربعة أشهر، فدخل بي في باب كبير، ثمّ ارتقى إلى رأس جبل، وصلّى بي ركعتَين، ثمّ ألبسني قميصاً، ثمّ قال لي: قل «اللّهُم اهدني فيمن هديت»؛ وذكر دعاء القُنوت.

ولما وليَ الخلافة أقرّ ابن هبيرة على وزارته وأصحاب الولايات على ولاياتهم، وأزال المكوس والضّرائب، وقبض على القاضي ابن المرخّم وقال: وكان بئس الحاكم، وأخذ منه مالاً كثيراً، وأُخذت كتبه فأُحرق منها في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة، فكان منها: كتاب «الشفاء» لابن سينا، وكتاب «إخوان الصفا»، وما شاكلهما، وقدم عضُد الدّين بن رئيس الرؤساء، وكان أستاذ الدّار يمكنه، وتقدّم إلى الوزير أن يقوم له، وعزل قاضي القضاة أبا الحسن عليّ بن أحمد الدّامغانيّ، ورتّب مكانه أبا[1] جعفر عبد الواحد الثّقفيّ، وخلع عليه[2].

ذكر الحرب بين عسكر خُوارزم والأتراك البَرزيّة

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، سار طائفة من عسكر خُوارزم إلى أجحه، وهجموا على يَغمُرخان بن أودك ومَن معه من الأتراك البَرزيّة، فأوقعوا بهم، وأكثروا القتل، فانهزم يَغمُرخان، وقصد السلطان محمود بن محمّد الخان [والأتراك الغُزّيّة الذين معه وتوسّل إليهم بالقرابة، وظنّ يَغمُرخان][3] أنّ اختيار الدّين إيثاق هو الذي هيّج الخُوارزميّة عليه، فطلب من الغُزّ إنجاده.

---

(١) في الأوربية: «أبو».

(٢) أنظر: المنتظم ١٠/١٩٢ ـ ١٩٥ (١٨/١٣٩ ـ ١٤١)، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٥ هـ.) ـ ص ٣٠، ومرآة الجنان ٣/٣٠٨، والبداية والنهاية ١٢/٢٤١.

(٣) ما بين الحاصرتين من الباريسية.

ذكر أحوال المؤيّد بخراسان هذه السنة

قد ذكرنا سنة ثلاثٍ وخمسين [وخمسمائة] عَود المؤيّد أي أَبَه إلى نَيْسابور، وتمكنّه منها، وأنّ ذلك كان سنة أربعٍ وخمسين؛ فلمّا دخلت سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائة، ورأى المؤيّد تحكّمه في نيسابور وتمكّنه في دولته، وكثرة جُنده وعسكره، أحسن السيرة في الرعيّة، لا سيّما أهل نَيْسابور، فإنّه جبَرهم وبالغ في الإحسان إليهم، وشرع في إصلاح أعمالها وولاياتها، فسيّر طائفة من عسكره إلى ناحية أسقِيل، وكان بها جمْع قد تمرّدوا وأكثروا العيث والفساد في البلاد، وطال تماديهم في طغيانهم، فأرسل إليهم المؤيّد يدعوهم إلى ترك الشرّ والفساد ومعاودة الطاعة والصلاح، فلم يقبلوا، ولم يرجعوا عمّا هم عليه، فسيّر إليهم سريّة كثيرة، فقاتلوهم وأذاقوهم عاقبة ما صنعوا فأكثروا القتل فيهم وخرّبوا حصنهم.

وسار المؤيّد من نَيْسابور إلى بَيْهَق، فوصلها رابع عشر ربيع الآخر من السنة، وقصد منها حصن خُسروُجِرْد، وهو حصن منيع بناه كَيْخَسرو الملك قبل فراغه من قتل أفراسياب، وفيه رجال شجعان، فامتنعوا على المؤيّد، فحصرهم ونصب عليهم المجانيق، وجدّ في القتال، فصبر أهل الحصن حتّى نفذ صبرهم، ثمّ ملك المؤيّد القلعة وأخرج كلّ مَن فيها [ورتّب فيها][1] مَن يحفظها، وعاد منها إلى نَيْسابور في الخامس والعشرين من جمادى الأولى من السنة.

ثمّ سار إلى هَراة، فلم يبلغ منها غرضاً، فعاد إلى نَيْسابور، وقصد مدينة كُنْدُر، وهي من أعمال طُرَيْثيثَ، وقد تغلّب عليها رجل اسمه أحمد كان خُرْبندة، واجتمع معه جماعة من الرنود وقُطّاع الطريق والمفسدين، فخرّبوا كثيراً من البلاد، وقتلوا كثيراً من الخلق، وغنموا من الأموال ما لا يُحصى.

وعظُمت المصيبة بهم على خُراسان وزاد البلاء، فقصدهم المؤيّد، فتحصنّوا بالحصن الذي لهم، فقوتلوا أشدّ قتال، ونصب عليهم العَرّادات والمَنجنيقات، فأذعن هذا الخُربندة أحمد إلى طاعة المؤيّد والانخراط في سلك أصحابه وأشياعه، فقبله أحسن قبول، وأحسن إليه وأنعم عليه.

---

(١) ما بين الحاصرتين من الباريسية.

ثمّ إنّه عصى على المؤيّد، وتحصّن بحصنه، فأخذه المؤيّد منه قهراً وعَنوةً، وقيّده، واحتاط عليه، ثمّ قتله وأراح المسلمين منه ومن شرّه وفساده.

وقصد المؤيّد في شهر رمضان ناحية بَيهَق عازماً على قتالهم لخروجهم عن طاعته، فلمّا قاربها أتاه زاهدٌ من أهلها ودعاه إلى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم، ووعظه وذكّره، فأجاب إلى ذلك ورحل عنهم؛ فأرسل السلطان ركن الدّين محمود بن محمّد الخان إلى المؤيّد بتقرير نَيسابور وطوس وأعمالها عليه، وردّ الحكم فيها إليه، فعاد إلى نَيسابور رابع ذي القعدة من السنة، ففرح النّاس بما تقرّر بينه وبين الملك محمود وبين الغُزّ من إبقاء نَيسابور عليه ليزول الخُلْف والفِتن عن النّاس[١].

ذكر الحرب بين شاه مازَنْدَران ويَغمُرخان

لمّا قصد يَغمُرخان الغُزّ وتوسّل إليهم لينصروه على إيثاق لظنّه أنّه هو الذي حسّن للخُوارزميّة قصده، أجابوه[٢] إلى ذلك، وساروا معه على طريق نَسَا وأبِيوَرد، ووصلوا إلى الأمير إيثاق[٣] فلم يجد لنفسه بهم قوّة، فاستنجد شاه مازَنْدَران، فجاءه ومعه من الأكراد والدّيلم والأتراك والتّركمان الذين يسكنون نواحي أَبَسْكون جمع كثير، فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم، وانهزم الأتراك الغُزّيّة والبَرزيّة من شاه مازَندران خمس مرّات ويعودون.

وكان على ميمنة شاه مازَندَران الأمير إيثاق[٣]، فحملت الأتراك الغُزّيّة عليه لمّا أيسوا من الظفر بقلب شاه مازَندَران، فانهزم إيثاق وتبِعه باقي العسكر، ووصل شاه مازَندَران إلى سارية، وقُتل من عسكره أكثرهم.

وحكي أنّ بعض التّجّار كفّن ودفن من هؤلاء القتلى سبعة آلاف رجل.

وأمّا إيثاق فإنّه قصد في هربه خُوارزم وأقام بها، وسار الغُزّ من المعركة إلى دَهِسْتان، وكان الحرب قريباً منها، فنقبوا سورها، وأوقعوا بأهلها ونهبوهم أوائل سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة، بعد أن خرّبوا جُرجان وفرّقوا أهلها في البلاد وعادوا إلى خُراسان.

---

(١) الخبر في أقل من سطرين في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٥ هـ.) ص ٣١.

(٢) في الأوربية: «فأجابوه».

(٣) في (أ): «إيناق»، وفي (ب): «إيتاق».

ذكر وفاة خُسروشاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده

في هذه السنة، في رجب، تُوفّي السلطان خُسروشاه[١] بن بَهرام شاه بن مسعود ابن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين، صاحب غَزنة، وكان عادلاً، حسن السيرة في رعيّته، مُحِبّاً للخير وأهله، مقرِّباً للعلماء محسناً إليهم راجعاً إلى قولهم؛ وكان ملكه تسع سنين.

[وملك بعده ابنه ملكشاه][٢] فلمّا ملك نزل علاء الدّين الحسين، ملك الغور، إلى غزنة فحصرها، وكان الشتاء شديداً والثلج كثيراً، فلم يمكنه المقام عليها، فعاد إلى بلاده في صفر سنة ستّ وخمسين [وخمسمائة][٣].

ذكر الحرب بين إيثاق وبَغراتْكِين

في هذ السنة، منتصف شعبان، كان بين الأمير إيثاق والأمير بَغراتْكِين برغش الجَزْكاني[٤] حربٌ، وكان إيثاق قد سار إلى بغراتِكين في آخر أعمال جُوَين، فنهبه، وأخذ أمواله وكلّ ما له، وكان ذا نعمة عظيمة وأموال جسيمة، فانهزم بغراتِكين عنها وخلّاها فافتتحها إيثاق[٥] واستغنى بها، وقويت نفسه بسببها، وكثُرت جموعه، وقصده النّاس. وأمّا بغراتكين فإنّه راسل المؤيّد صاحب نَيسابور، وصار في جملته ومعدوداً من أصحابه، فتلقّاه المؤيّد بالقبول.

ذكر وفاة ملكشاه بن محمود

في هذه السنة تُوفّي ملكشاه[٦] ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه بن ألب

---

(١) أنظر عن (خسروشاه) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٥ هـ.) ص ١٦١ رقم ١٥٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) ما بين الحاصرتين من الباريسية.

(٣) تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٥ هـ.) ص ١٦١.

(٤) في الجريدة الآسيوية لسنة ١٨٤٦ مجلّد ٢/ ٤٦٢ «بزغش الجوكاني».

(٥) في (أ): «ايناق».

(٦) أنظر عن (وفاة ملكشاه) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٥ هـ.) ص ١٨٦ رقم ١٨٧ وفيه مصادر ترجمته.

أرسلان بأصفهان مسموماً؛ وكان سبب ذلك أنّه لمّا كثُر جمعه بأصفهان أرسل إلى بغداد وطلب أن يقطعوا خطبة عمّه سليمان شاه ويخطبوا له ويعيدوا[1] القواعد بالعراق إلى ما كانت أوّلاً، وإلاّ قصدهم، فوضع الوزير عون الدّين بن هُبيرة خصيّاً كان خصيصاً به، يقال له أغلبك الكوهرايينيّ، فمضى إلى بلاد العجم، واشترى جارية من قاضي همذان بألف دينار، وباعها من ملكشاه، وكان قد وضعها على سمّه ووعدها أموراً عظيمة، ففعلت ذلك وسمّته في لحم مَشْوِيّ فأصبح ميّتاً، وجاء الطّبيب إلى دكلا وشملة فعرّفها أنّه مسموم، فعرفوا أنّ ذلك من فعل الجارية، فأُخذت وضُربت وأقرّت، وهرب أغلبك، ووصل إلى بغداد، ووفَى له الوزير بجميع ما استقرّ الحال عليه[2].

ولمّا مات أخرج أهل أصفهان أصحابه من عندهم، وخطبوا لسليمان شاه واستقرّ مُلكه بتلك البلاد، وعاد شملة إلى خوزستان فأخذ ما كان ملكشاه تغلّب عليه منها.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حجّ أسد الدين شِيركُوه بن شاذي مقدّم جيوش نور الدّين محمود بن زنكي صاحب الشام؛ وشِيركُوه هذا هو الذي ملك الدّيار المصريّة[3]. وسيرد ذِكره إن شاء اللّه تعالى.

وفيها أرسل زين الدّين عليّ نائب قُطْب الدّين، صاحب الموصل، رسولاً إلى المستنجد يعتذر ممّا جناه من مساعدة محمّد شاه في حصار بغداد، ويطلب أن يؤذنَ له في الحجّ، فأرسل إليه يوسف الدّمشقيّ، مدرّس النظاميّة، وسليمان بن قَتَلمِش يطيّبان قلبه عن الخليفة ويعرّفانه الإذن في الحجّ، فحجّ ودخل إلى الخليفة، فأكرمه وخلع عليه[4].

[الوَفيات]

وفيها تُوفّي قايماز الأرجوانيُّ أمير الحاجّ، سقط عن الفَرس وهو يلعب بالأكرة،

---

(١) في الأوربية: «ويخطبون له ويعيدون».

(٢) وأنظر: تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٠.

(٣) المنتظم ١٠/١٩٦ (١٨/١٤٣).

(٤) التاريخ الباهر ١١٥، المنتظم ١٠/١٩٦ (١٨/١٤٢، ١٤٣)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٥ هـ.) ص ٣٠، العبر ٤/١٥٦ سير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٢.

فسال مخّه من مِنْخريه وأُذنَيْه فمات[1].

وفيها، في ربيع الأوّل، تُوفّي محمّد بن يحيَى بن عليّ بن مسلم أبو عبد اللّه الزَّبيديّ[2]، من أهل زَبيدَ مدينة باليمن مشهورة، وقدِم بغداد سنة تسعٍ وخمسمائة، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ وكان نحويّاً واعظاً، وصحِبه الوَزير ابن هُبيرة مدّةً، وكان موته ببغداد.

(١) المنتظم ١٠/١٩٦،١٩٧ (١٨/١٤٣،١٤٤ رقم ٤٢٣٦)، البداية والنهاية ١٢/٢٤٢.

(٢) أنظر عن (الزَّبيدي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٥ هـ.) ص ١٧٩ ـ ١٨١ رقم ١٨٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥٥٦)
ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، خرج الوزير ابن هُبيرة من داره إلى الدّيوان، والغلمان يطرّقون له، وأرادوا أن يردّوا باب المدرسة الكماليّة بدار الخليفة، فمنعهم الفقهاء وضربوهم بالآجُرّ، فشهر أصحاب الوزير السيوف وأرادوا ضربهم، فمنعهم الوزير، ومضى إلى الدّيوان، فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير، فأمر الخليفة بضرب الفقهاء وتأديبهم ونفْيهم من الدّار، فمضى أستاذ الدّار وعاقبَهم هناك، واختفى مدرّسهم الشيخ أبو طالب، ثمّ إنّ الوزير أعطى كلّ فقير ديناراً، واستحلّ منهم، وأعادهم إلى المدرسة وظهر مدرّسهم[١].

ذكر قتل ترشك

في هذه الأيّام قصد جمْعٌ من التُّركمان إلى البَندَنيجين، فأمر الخليفة بتجهيز عسكر إليهم، وأن يكون مقدّمهم الأمير ترشك، وكان في أقطاعه بلد اللِّحف، فأرسل إليه الخليفة يستدعيه، فامتنع من المجيء إلى بغداد وقال: يحضر العسكر، فأنا أقاتل بهم؛ وكان عازماً على الغدر؛ فجهزّ العسكر وساروا إليه، وفيهم جماعة من الأمراء، فلمّا اجتمعوا بترشك قتلوه، وأرسلوا رأسه إلى بغداد، وكان قتل مملوكاً للخليفة، فدعا أولياء المقتول، وقيل لهم: إنّ أمير المؤمنين قد اقتصّ لأبيكم ممّن قتله[٢].

ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لأرسلان

في هذه السنة، في ربيع الآخر، قُتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن

---

(١) المنتظم ١٠/١٩٩ (١٨/١٤٧).

(٢) المنتظم ١٠/١٩٩، ٢٠٠ (١٨/١٤٧).

ملشكاه؛ وسبب ذلك أنّه كان فيه تهوّرٌ وخرقٌ، وبلغ به شرب الخمر حتّى إنّه شربها في رمضان نهاراً، وكان يجمع المساخر ولا يلتفت إلى الأمراء، فأهمل العسكر أمره، وصاروا لا يحضرون بابه، وكان قد ردّ جميع الأمور إلى شرف الدّين كُردَبازو[1] الخادم، وهو[2] من مشايخ الخدم السّلْجوقيّة يرجع إلى دين وعقل وحُسن تدبير، فكان الأمراء يشكون إليه وهو يسكّنهم.

فاتّفق أنّه شرب يوماً بظاهر همذان في الكُشك فحضر عنده كُردبازو، فلامه على فِعله، فأمر سليمان شاه مَن عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو، حتى إنّ بعضهم كشف له سَوْءته، فخرج مغضِباً، فلمّا صحا سليمان أرسل إليه يعتذر، فقبِل عُذره، إلاّ أنّه تجنّب الحضور عنده، فكتب سليمان إلى إينانج صاحب الرَّيّ يطلب منه أن ينجده على كردبازو، فوصل الرسول وإينانج مريض، فأعاد الجواب يقول: إذا أفقتُ من مرضي[3] حضرتُ عندك بعسكري؛ فبلغ كُردَبازو، فازداد استيحاشاً، فأرسل إليه سليمان يوماً يطلبه، فقال: إذا جاء إينانج حضرتُ؛ وأحضر الأمراء واستحلفهم على طاعته، وكانوا كارهين لسليمان. فحلفوا له، فأوّل ما عمل أن قتل المساخرة الذين لسليمان، وقال: إنّما أفعل ذلك صيانةً لملكك؛ ثمّ اصطلحا، وعمل كردبازو دعوة عظيمة حضرها السلطان والأمراء، فلمّا صار السلطان سليمان شاه في داره قبض عليه كردبازو وعلى وزيره ابن القاسم محمود بن عبد[4] العزيز الحامديّ، وعلى أصحابه، في شوّال سنة خمسٍ وخمسين[5] وخمسمائة، فقتل وزيره وخواصّه، وحبس سليمان شاه في قلعة، ثمّ أرسل إليه مَن خنقه؛ وقيل بل حبسه في دار مجد الدّين العلويّ رئيس همذان، وفيها قُتل؛ وقيل بل سُقي سمّاً فمات، واللّه أعلم.

وأرسل إلى إيلدكز، صاحب أرّان وأكثر بلاد أذرَبِيجان، يستدعيه إليه ليخطب للملك أرسلان شاه الذي معه، وبلغ الخبر إلى إينانج صاحب الرّيّ، فسار ينهب البلاد إلى أن وصل إلى همذان، فتحصّن كُردبازو، فطلب منه إينانج أن يعطيه مصافّاً، فقال:

---

(١) يرد: «كردبازو»، و«كردباز».

(٢) في (أ): «وهو تدبير».

(٣) في الأوربية: «مرض».

(٤) في (أ): «بن عميد الملك عبد»، وفي (ب): «أبي القسم».

(٥) في (أ): «ست وخمسين».

أنا لا أحاربك حتّى يصل الأتابك الأعظم إيلدكز.

[وسار إيلدكز][1] في عساكره جميعها يزيد على عشرين ألف فارس، ومعه أرسلان شاه بن طُغْرل بن محمّد بن ملكشاه، فوصل إلى همذان، فلقيهم كردبازو، وأنزله دار المملكة، وخطب لأرسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد، وكان إيلدكز قد تزوّج بأُمّ أرسلان شاه، وهي أُمّ البهلوان بن إيلدكز، وكان إيلدكز أتابكه، والبهلوان حاجبه، وهو أخوه لأمّه، وكان إيلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود واشتراه في أوّل أمره، فلمّا ملك أقطعه أرّان وبعض أذربيجان، واتّفق الحروب والاختلاف، فلم يحضر عنده أحد من السلاطين السلجوقيّة، وعظُم شأنه وقوي أمره، وتزوّج بأم الملك أرسلان شاه، فولدت له أولاداً منهم البهلوان محمّد، وقزل أرسلان عثمان.

وقد ذكرنا سبب انتقال أرسلان شاه إليه، وبقي عنده إلى الآن، فلمّا خطب له بهمذان أرسل إيلدكز إلى بغداد يطلب الخطبة لأرسلان شاه أيضاً، وأن تعاد القواعد إلى ما كانت عليه أيّامَ السلطان مسعود، فأُهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة؛ وأمّا إينانج صاحب الرَّيّ فإنّ إيلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتّفاق، وتزوّج البهلوان بن إيلدكز بابنة إينانج ونُقلت إليه بهمذان[2].

ذكر الحرب بين ابن آقسنقر وعسكر إيلدكز

لمّا استقرّ الصلح بين إيلدكز وإينانج أرسل إلى ابن آقسنقر الأحمديلي، صاحب مَراغة، يدعوه إلى الحضور في خدمة السلطان أرسلان شاه، فامتنع من ذلك وقال: إن كففتم عنّي، وإلاّ فعندي سلطانٌ؛ وكان عنده ولد محمّد شاه بن محمود، كما ذكرناه، وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يُطْمعه في الخطبة لولد محمود[3] شاه، فجهزّ إيلدكز عسكراً مع ولده البَهلوان، فبلغ الخبر (إلى ابن)[4] آقسنقر فأرسل إلى شاه أرمن، صاحب خلاط، وحالفه، وصارا يداً واحدةً، فسيّر إليه شاه أرمن عسكراً كثيراً، واعتذر عن تأخّره بنفسه لأنّه (في)[5] ثغر لا يُمكنه مفارقته، فقنوي بهم ابن آقسنقر، وكثر

---

(١) من الباريسية.

(٢) تاريخ الإسلام ـ بإختصار حوادث ٥٥٦ هـ. ـ ص ٣٢، ٣٣.

(٣) في (ب): «محمد».

(٤) من (أ)، وفي (ب): «إلى» فقط.

(٥) من (أ).

جمعه، وسار نحو البهلوان، فالتقيا على نهر أسبيرود[١]، فاشتدّ القتال بينهم، فانهزم البهلوان أقبح هزيمة، ووصل هو وعسكره إلى همذان على أقبح صورة، واستأمن أكثر أصحابه إلى (ابن)[٢] آقسنقر، وعاد إلى بلده منصوراً.

ذكر الحرب بين إيلدكز وإينانج

لمّا مات ملشكاه ابن السلطان محمود، كما ذكرناه، أخذ طائفة من أصحابه ابنه محموداً وانصرفوا به نحو بلاد فارس، فخرج عليهم صاحبها زنكي بن دكلا السلغريّ[٣] فأخذه منهم وتركه في قلعة إصطَخْر، فلمّا ملك إيلدكز والسلطان أرسلان شاه الذي معه البلاد[٤]، وأرسل إيلدكز إلى بغداد يطلب الخطبة للسلطان، كما ذكرناه، شرع الوزير عون الدّين أبو المظفّر يحيَى بن هُبيرة، وزير الخليفة، في إثارة أصحاب الأطراف عليه، وراسل الأحمديليّ، وكان ما ذكرناه، وكاتب زنكي بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له أن يخطب للملك الذي عنده، وهو ابن ملكشاه، وعلّق الخطبة له بظفره بإيلدكز، فخطب ابن دكلا للملك الذي عنده وأنزله من القلعة، وضرب الطبل على بابه خمس نُوَب، وجمع عساكره وكاتب إينانج صاحب الرَّيّ يطلب منه الموافقة.

وسمع إيلدكز الخبر، فحشد وجمع، وكثُر عسكره وجموعه فكانت أربعين ألفاً، وسار إلى أصفهان يريد بلاد فارس، وأرسل إلى زنكي بن دكلا يطلب منه الموافقة [على] أن يعود يخطب لأرسلان شاه، فلم يفعل، وقال: إنّ الخليفة قد أقطعني بلاده وأنا سائر إليه، فرحل إيلدكز، وبلغه أنّ جَشيراً لأرسلان بوقا، وهو أمير من أمراء زنكي، وفي أقطاعه أرّجان، بالقرب منه، فأنفذ سريّة للغارة عليه، فاتّفق أنّ أرسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التي معه لضعفها، وأخْذ عِوَضها من ذلك الجشير، فسار في عسكره إلى الجشير، فصادف العسكر الذي سيّره إيلدكز لأخذ دوابّه، فقاتلهم وأخذهم وقتلهم، وأرسل الرؤوس إلى صاحبه، فكتب بذلك إلى بغداد وطلب المدد، فوُعد بذلك.

---

(١) في (أ): «سبيذروذ».

(٢) من (أ).

(٣) في (أ): «السنقري».

(٤) في الباريسية، والنسخة رقم ٧٤٠ «أرسلان الري البلاد».

وكان الوزير عون الدّين أيضاً قد كاتب الأمراء الذين مع إيلدكز يوبّخهم على طاعته، ويضعّف رأيهم، ويحرّضهم على مساعدة زنكي بن دكلا وإينانج؛ وكان إينانج قد برز من الرَّيّ في عشرة آلاف فارس فأرسل إليه (ابن)[1] آقنسقر الأحمديلي خمسة آلاف فارس، وهرب ابن البازدار، صاحب قَزوين، وابن طُغيرك وغيرهما، فلحقوا بإينانج وهو في صحراء ساوة.

وأمّا إيلدكز فإنّه استشار نصحاءه، فأشاروا بقصد إينانج لأنّه أهمّ، فرحل إليه، ونهب زنكي بن دكلا سُهَيرِم[2] وغيرها، فردّ إيلدكز إليه أميرا في عشرة آلاف فارس لحفظ البلاد. فسار زنكي إليهم، فلقيهم وقاتلهم، فانهزم عسكر إيلدكز إليه، فتجلّد لذلك وأرسل يطلب عساكر أذربيجان، فجاءته مع ولده قزل أرسلان.

وسيّر زنكي بن دكلا عسكراً كثيراً إلى إينانج، واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة، صاحب خوزستان، فسار إيلدكز إلى إينانج وتدانَى العسكران، فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم حرب عظيمة أجلت عن هزيمة إينانج، فانهزم أقبح هزيمة وقُتلت رجاله ونُهبت أمواله، ودخل الريّ، وتحصّن في قلعة طَبَرك، وحصر إيلدكز الرَّيّ، ثمّ شرع في الصلح، واقترح إينانج اقتراحات، فأجابه إيلدكز إليها، وأعطاه جِرباذقان وغيرها، وعاد إيلدكز إلى هَمَذان؛ كان ينبغي أن تتأخّر هذه الحادثة والتي قبلها، وإنّما قُدّمت لتتبع أخواتها.

ذكر وفاة ملك الغور ومُلك ابنه محمّد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، توفّي الملك علاء الدين الحسين[3] بن الحسين الغُوري ملك الغور بعد انصرافه عن غَزنة؛ وكان عادلاً من أحسن الملوك سيرةً في رعيّته، ولمّا مات ملك بعده ابنه سيف الدين محمّد، وأطاعه النّاس وأحبّوه، وكان قد صار في بلادهم جماعة من دُعاة الإسماعيليّة، وكثُر أتباعهم، فأُخرجوا من تلك الدّيار

---

(١) من (أ).

(٢) في (ب): «سميرم».

(٣) أنظر عن (وفاة الملك علاء الدين الحسين)، في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٦ هـ.) ص ١٩٤ رقم ١٩٩.

جميعها، ولم يبقَ فيها منهم أحد، وراسل الملوك وهاداهم، واستمال المؤيّد أي أَبَه، صاحب نَيسابور، وطلب موافقته.

ذكر الفتنة بنَيسابور وتخريبها

كان أهل العيث والفساد بنَيسابور قد طمعوا في نهب الأموال وتخريب البيوت، وفعل ما أرادوا، فإذا نُهوا لم ينتهوا؛ فلمّا كان الآن تقدّم المؤيّد أي أَبَه بقبض أعيان نَيسابور، منهم نقيب العلويّين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسينيّ وغيره، وحبسهم في ربيع الآخر سنة ستّ وخمسين [وخمسمائة]، وقال: أنتم الذي أطمعتم الرنود والمفسدين حتّى فعلوا هذه الفعال، ولو أردتم منعهم لامتنعوا.

وقتل من أهل الفساد جماعة، فخُرّبت نَيسابور بالكليّة، ومن جملة ما خُرّب مسجد عُقَيل، كان مَجمعاً لأهل العلم، وفيه خزائن الكتب الموقوفة، وكان من أعظم منافع نَيسابور؛ وخُرّب أيضاً من مدارس الحنفيّة ثماني مدارس، ومن مدارس الشافعيّة سبع[1] عشرة مدرسة، وأحرق خمس خزائن للكتب، ونهب سبع خزائن كتب وبيعت بأبخس الأثمان؛ هذا ما أمكن إحصاؤه سوى ما لم يُذكر[2].

ذكر خلع السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خُراسان

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، قصد السلطان محمود بن محمّد الخان، وهو ابن أخت السلطان سَنجر، وقد ذكرنا أنّه ملك خُراسان بعده، ففي هذه السنة حصر المؤيّد صاحب نَيسابور بشاذِياخ، وكان الغُزّ مع السلطان محمود، فدامت الحرب إلى آخر شعبان سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة.

ثمّ إنّ محموداً أظهر أنّه يريد دخول الحمّام، فدخل إلى شَهرستان، آخر شعبان، كالهارب من الغُزّ، وأقاموا على نَيسابور[3] إلى آخر شوّال، ثمّ عادوا راجعين، فعاثوا في القرى ونهبوها، ونهبوا طُوس نهباً فاحشاً، وحضروا المشهد الذي لعليّ بن

---

(١) في الأوربية: «سبعة».

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/٣٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٦ هـ.) ص ٣٣، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٣، الكواكب الدرية ١٥٩.

(٣) في الباريسية والنسخة ٧٤٠ «بنيسابور».

موسى، وقتلوا كثيراً ممّن فيه ونهبوهم، ولم يعرضوا للقبّة التي فيها القبر.

فلمّا دخل السلطان محمود إلى نَيْسابور أمهله المؤيّد إلى أن دخل رمضان من سنة سبعٍ وخمسين وخمسمائة وأخذه وكحله وأعماه، وأخذ ما كان معه من الأموال والجواهرِ والأعلاق النفيسة، وكان يخفيها خوفاً عليها من الغُزّ، لمّا كان معهم، وقطع المؤيّد خطبته من نَيْسابور وغيرها ممّا هو في تصرّفه، وخطب لنفسه، بعد الخليفة المستنجد باللّه، وأخذ ابنَه جلال الدّين محمّداً الذي كان قد ملّكه الغُزّ أمرهم قبل أبيه، وقد ذكرنا ذلك، وسَمله أيضاً، وسجنهما، ومعهما جواريهما وحشمهما، وبقيا فيها فلم تطل أيّامها، ومات السلطان محمود، ثمّ مات ابنه بعده من شدّة وجده لموت أبيه، واللّه أعلم.

ذكر عمارة شاذياخ نَيسابور

كانت شاذياخ قد بناها عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، لمّا كان أميراً على خُراسان للمأمون، وسبب عمارتها أنّه رأى امرأة جميلة تقود فرساً تريد سقيَه، فسألها عن زوجها، فأخبرتْه به، فأحضره وقال له: خدمة الخيل بالرجال أشبه، فلِمَ تقعد أنت في دارك وترسل امرأتك مع فرسك؟ فبكى الرجل، وقال له: ظُلْمك يحملنا على ذلك. فقال: وكيف؟ قال: لأنّك تُنزل الجُند معنا في دُورنا، فإن خرجتُ أنا وزوجتي بقي البيت فارغاً، فيأخذ الجنديّ ما لنا فيه، وإن سقيتُ أنا الفرس فلا آمن على زوجتي من الجنديّ، فرأيتُ أن أقيم في البيت وتخدم زوجتي الفرس.

فعظُم الأمر عليه وخرج من البلد لوقته، ونزل في الخيام، وأمر الجُند فخرجوا من دُور النّاس، وبنى شاذياخ داراً له ولجُنده وسكنها وهم معه، ثمّ إنّها دثرت بعد ذلك.

فلمّا كان أيّام السلطان ألْب أرسلان، ذُكرت له هذه القصة فأمر بتجديدها، ثمّ إنّها تشعثّت بعد ذلك، فلمّا كان الآن وخربت نَيْسابور، ولم يمكن حفظها، والغُزّ تطرق البلاد وتنهبها، أمر المؤيّد حينئذٍ بعمل سورها، وسدّ ثُلَمَه وسُكناه، ففعل ذلك وسكنها هو والنّاس وخربت حينئذٍ نَيْسابور كلّ خراب، ولم يبقَ بها أَنيس.

ذكر قتل الصالح بن رُزّيك ووزارة ابنه رُزّيك

في هذه السنة، في شهر رمضان، قُتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن

رُزّيك[1] الأرمنيّ، وزير العاضد العلويّ، صاحب مصر، وكان سبب قتله أنّه تحكّم في الدولة التحكّم العظيم، واستبدّ بالأمر والنّهي وجباية الأموال إليه، لصغر العاضد، ولأنّه هو الذي ولاّه، ووتر النّاس، فإنّه أخرج كثيراً من أعيانهم وفرّقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه؛ ثمّ إنّه زوّج ابنته من العاضد فعاداه أيضاً الحرم من القصر، فأرسلت عمّة العاضد الأموال إلى أمراء المصريّين، ودعتهم إلى قتله.

وكان أشدّهم في ذلك إنسان يقال له ابن الراعي، فوقفوا له في دهليز القصر، فلمّا دخل ضربوه بالسكاكين على دَهَشٍ [منه] فجرحوه جراحات مهلكة، إلاّ أنّه حُمل إلى داره وفيه حياة، فأرسل إلى العاضد يعاتبه على الرضى بقتله مع أثره في خلافته، فأقسم العاضد أنّه لا يعلم بذلك، ولم يرضَ به. فقال: إن كنتَ بريئاً فسلّم عمّتك إليّ حتى أنتقم منها؛ فأمر بأخذها، فأرسل إليها فأخذها قهراً، وأُحضرت عنده فقتلها ووصّى بالوزارة لابنه[2] رُزّيك ولُقّب العادل، فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه.

وللصالح أشعار حسنة بليغة تدلّ على فضل غزير[3]، فمنها في الافتخار:

أَبَى اللّهُ إلاّ أنْ يَدومَ[4] لَنا الدّهرُ	ويخدمنا في مُلكنا العزُّ والنّصْرُ[5]
عَلِمْنا بأنّ المَالَ تَفنى أُلُوفُه	وَيَبقى لنا من بَعدِه الأجرُ والذّكرُ
خَلَطْنا النّدى بالبأسِ حتى كأنّنا	سحابٌ لديه البرقُ والرعدُ والقطرُ
قِرانا إذا رُحْنا إلى الحربِ مرّةً	يَرَانا ومن أضيافنا الذّئبُ والنّسرُ
كما أنّنا في السّلمِ نَبذُلُ جُودَنا	وَيَرْتَعُ في إنعامِنا العَبدُ والحُرُّ[6]

وهي طويلة.

وكان الصالح كريماً فيه أدب، وله شِعر جيّد، وكان لأهل العلم عنده إنفاق،

---

(١) أنظر عن (طلائع بن رُزّيك) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٦ هـ.) ص ٣٤، و(الوفيات ٥٥٦ هـ.) ص ١٩٦ ـ ٢٠٠ رقم ٢٠٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «ابنه».

(٣) في (أ): «بعد أيام. وللصالح... على معرفته فضل غزير».

(٤) في المغرب: «يَدِين».

(٥) في المغرب: «النفع والضرّ».

(٦) ديوان طلائع بن رزّيك ـ طبعة نهضة مصر ١٩٥٨ ـ ص ٦٣، ديوان أسامة بن منقذ ـ طبعة الأميرية بمصر ١٩٥٣ ـ ص ٢٠١، والمغرب في حُلى المغرب ٢٢٣، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤٤.

ويرسل إليهم العطاءَ الكثير، بلغه أن الشيخ أبا محمّد بن الدّهان النَّحْويّ البغداديّ المقيم بالموصل قد شرح بيتاً من شِعره وهو هذا:

تجنّـبَ سَمعـي مـا يَقُـول العَـواذِلُ وأصبَحَ لي شغلٌ من الغزْوِ[1] شاغلُ

فجهّز إليه هديّة سنيّة ليرسلها إليه، فقُتل قبل إرسالها.

وبلغه أيضاً أنّ إنساناً من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكّة، فأرسل إليه كتاباً يشكره ومعه هديّة.

وكان الصالح إماميّاً لم يكن على مذهب العلويّين المصريّين، ولمّا وليَ العاضد الخلافة، سمع[2] الصالح ضجّة عظيمة، فقال: ما الخبر؟ فقيل: إنّهم يفرحون بالخليفة. فقال: كأنّي بهؤلاء الجَهَلة وهم يقولون ما مات الأوّل حتى استخلف هذا، وما علموا أنّني كنتُ من ساعة أستعرِضهم استعراض الغنم.

قال عُمارة[3]: دخلتُ إلى الصّالح قبل قتله بثلاثة أيّام، فناولني قِرْطاساً فيه بيتان من شِعره[4] وهما:

نحْـنُ فـي غَفْلَـةٍ ونَـوْمٍ وللمَـوْ تِ عُيُـونٌ يَقظـانَـةٌ لا تَنَـامُ

قـد رَحَلْنـا إلـى الحِمَـامِ سِنينـاً[5] ليتَ شِعري متى يكونُ الحِمامُ؟[6]

فكان آخر عهدي به.

وقال عُمارة أيضاً[7]: ومن عجيب الاتّفاق أنّني أنشدتُ ابنَه قصيدةً أقول فيها:

أبُـوك الـذي تَسْطُـو اللّيـالي بحَـدّهِ وأنـتَ يَميـنٌ إنْ سَطَـا وشمـالُ

لـرُتْبتِـه العُظَمـى وإن طـالَ عمـرُهُ إلَيْـكَ مَصِيـرٌ وَاجِـبٌ وَمَنَـالُ[8]

تخالسكَ اللّحظَ المَصُونَ وَدونَها حجابٌ شريفٌ لا انقضَا وحجالُ[9]

---

(١) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٦ هـ.) ص ١٩٩ «الغزّ».

(٢) في طبعة صادر ١١/ ٢٧٥ «ركب سمع».

(٣) هو عمارة اليمني في: النكت العصرية ٤٨، ٤٩.

(٤) في الأوربية: «شعر».

(٥) في مرآة الزمان: «قد دخلنا الحمام عاماً ودهراً».

(٦) تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٦ هـ.) ص ١٩٩، الروضتين ج ١ ق ١/ ٣١٣.

(٧) في النكت العصرية ٤٩.

(٨) في النكت: «ومآل».

(٩) كتاب الروضتين ج ١ ق ١/ ٣١٣.

فانتقل الأمر إليه بعد ثلاثة أيّام.

ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد

في هذه السنة، في شهر رمضان، اجتمعت خَفاجة إلى الحِلّة والكوفة، وطالبوا برسومهم من الطعام والتّمر وغير ذلك، فمنعهم أمير الحاجّ أرغش، وهو مقطع الكوفة، ووافقه على منعه الأمير قيصر شِحنة الحِلّة، وهما من مماليك الخليفة، فأفسدت خَفاجة، ونهبوا سواد الكوفة والحِلّة، فأسرى[1] إليهم الأمير قيصر، شِحنة الحِلّة، في مائتين وخمسين فارساً، وخرج إليه أرغش في عسكر وسلاح، فانتزحت خَفاجة من بين أيديهم، وتبِعهم العسكر إلى رحبة الشام، فأرسل خَفاجة يعتذرون ويقولون: قد قنعنا بلبن الإبل وخُبز الشعير، وأنتم تمنعوننا رسومنا؛ وطلبوا الصلح، فلم يُجبهم أرغش وقَيصر.

وكان قد اجتمع مع خَفاجة كثير من العرب، فتصافّوا واقتتلوا، وأرسلت العرب طائفة إلى خيام العسكر ورحالهم فحالوا بينهم وبينها، وحمل العرب حملة مُنكَرَة، فانهزم العسكر، وقُتل كثير منهم، وقُتل الأمير قيصر، وأُسرت جماعة أخرى، وجُرح أمير الحاجّ جراحة شديدة، ودخل الرحبة، فحماه شيخُها وأخذ له الأمان وسيّره إلى بغداد، ومَن نجا مات عطشاً في البرّيّة.

وكان إماء العرب يخرجن بالماء يسقين الجرحى، فإذا طلبه منهنّ أحد من العسكر أجهزن عليه، وكثُر النَّوح والبكاء ببغداد على القتلى، وتجهّز الوزير عون الدّين بن هُبيرة والعساكر معه، فخرج في طلب خَفاجة فدخلوا البرّ وخرجوا إلى البصرة، ولما دخلوا البرّ عاد الوزير إلى بغداد، وأرسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون: بُغي علينا، وفارقنا البلاد، فتبِعونا واضطّررنا إلى القتال؛ وسألوا العفو عنهم، فأجيبوا إلى ذلك[2].

ذكر حصر المؤيّد شارستان

في هذه السنة حصر المؤيّد أي أَبَه مدينة شارستان، قرب[3] نَيسابور، وقاتله

---

(١) في الأوربية: «فأسرا».

(٢) المنتظم ١٠/ ٢٠٠ (١٨/ ١٤٨).

(٣) في الأوربية: «قريب».

أهلها، ونصب المجانيق والعرّادات، فصبر أهلها خوفاً على أنفسهم من المؤيّد، وكان معه جلال الدّين المؤيّد الموفقيّ الفقيه الشافعيّ، فبينما هو راكب إذ وصل إليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة، وتعدّى الحجر منه إلى شيخ من شيوخ بَيهَق فقتله، فعظُمت المصيبة بقتل جلال الدّين على أهل العِلم، خصوصاً أهل السنّة والجماعة، وكان في عنفوان[1] شبابه رحمه اللّه لمّا قُتل.

ودام الحصار إلى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة، فنزل خواجكي صاحبها بعدما كثر القتل، ودام الحصر، وكان لهذه القلعة ثلاثة رؤساء هم أرباب النهي والأمر، وهم الذين حفظوها وقاتلوا عنها، أحدهم خواجكي هذا، والثاني داعي بن محمّد ابن أخي حرب العلويّ، والثالث الحسين بن أبي طالب العلوي الفارسيّ، فنزلوا كلّهم أيضاً إلى المؤيّد أي أبَه، فيمن معهم من أشياعهم وأتباعهم. فأمّا خواجكي فإنّه أثبت عليه أنّه قتل زوجته ظلماً وعدواناً وأخذ مالها، فقُتل بها وملكْ المؤيّد شارستان، وصفَتْ له، فنهبها عسكره إلاّ أنّهم لم يقتلوا امرأة ولا سبوها.

ذكر مُلك الكُرج مدينة آني

في هذه السنة، في شعبان، اجتمعت الكُرج مع ملكهم، وساروا إلى مدينة آني من بلاد أرّان، وملكوها، وقتلوا فيها خلقاً كثيراً، فانتدب لهم شاه أرمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خِلاط، وجمع العساكر، واجتمع معه من المتطوّعة خلق كثير، وسار إليهم، فلقوه وقاتلوه، فانهزم المسلمون، وقُتل أكثرهم، وأُسر كثر منهم، وعاد شاه أرمن مهزوماً لم يرجع معه غير أربع مائة فارس من عسكره.

ذكر ولاية عيسى مكّة حرسها اللّه تعالى

كان أمير مكّة، هذه السنة، قاسم بن فُليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلويّ الحسنيّ، فلمّا سمع بقرب الحجّاج من مكّة صادر المجاورين وأعيان أهل مكّة، وأخذ كثيراً من أموالهم، وهرب من مكّة خوفاً من أمير الحاجّ أرغش.

وكان قد حجّ هذه السنة زين الدّين عليّ بن بكْتكِين[2]، صاحب جيش الموصل،

---

(١) في الأوربية: «عنوان».

(٢) في (أ): «ابن بلتكين».

ومعه طائفة صالحة من العسكر، فلمّا وصل أمير الحاجّ إلى مكّة رتّب مكان قاسم بن فُليتة عمّه عيسى بن قاسم بن أبي هاشم، فبقي كذلك إلى شهر رمضان، ثمّ إنّ قاسم بن فُليتة جمع جمعاً كثيراً من العرب أطمعهم في مالٍ له بمكّة، فاتّبعوه، فسار بهم إليها، فلمّا سمع عمّه عيسى فارقها، ودخلها قاسم فأقام بها أميراً أيّاماً، ولم يكن له مال يوصله إلى العرب، ثمّ إنّه قتل قائداً كان معه أحسن السيرة، فتغيّرت نيّات أصحابه عليه، وكاتبوا عمّه عيسى، فقدِم عليهم، فهرب وصعِد جبل أبي قُبَيس، فسقط عن فرسه، فأخذه أصحاب عيسى وقتلوه، فعظُم عليه قتله، فأخذه وغسّله ودفنه بالمُعَلّى عند أبيه فُليتة، واستقرّ الأمر لعيسى، والله أعلم[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار عبد المؤمن، صاحب المغرب، إلى جبل طارق، وهو على ساحل الخليج ممّا يلي الأندلس، فعبر المَجاز إليه، وبنى عليه مدينة حصينة، وأقام بها عدّة شهور، وعاد إلى مَرّاكُش[2].

وفيها، في المحرّم، ورد نَيسابور جمع كثير من تُركمان بلاد فارس ومعهم أغنام كثيرة للتّجارة فباعوها وأخذوا الثمن، وساروا ونزلوا على مَرحلتَين من طابس كنكلي[3]، وناموا هناك، فنزل إليهم الإسماعيليّة وكبسوهم ليلاً، ووضعوا السيف فيهم، فقتلوا وأكثروا، ولم ينجُ منهم إلاّ الشريد، وغنم الإسماعيليّة جميع ما معهم من مال وعروض، وعادوا إلى قلاعهم.

وفيها كثُرت الأمطار في أكثر البلاد، ولا سيّما خُراسان، فإنّ الأمطار توالت فيها من العشرين من المحرّم إلى منتصف صفر لم تنقطع، ولا رأى النّاس فيها شمساً.

وفيها كان بين الكُرج وبين الملك صلتق بن عليّ، صاحب أَرزَن الروم، قتال وحرب انهزم فيه صلتق وعسكره، وأُسر هو، وكانت أخته شاه بانوار قد تزوّجها شاه أرمن سكمان بن إبراهيم بن سكمان صاحب خِلاط، فأرسلت إلى ملك الكُرج هديّة

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لقاضي مكة (بتحقيقنا) ٢/٣١٣.

(٢) الخبر في: الأنيس المطرب ١٤١، ونهاية الأرب ٢٤/٣١٧، والاستقصا ٢/١٢٦.

(٣) في (أ): «طبس كيلكي»، وفي (ب): «طاس كتكلي».

جليلة المقدار، وطلبت منه أن يفاديها بأخيها، فأطلقه، فعاد إلى مُلكه.

وفيها قصد صاحب صيدا من الفرنج نورَ الدّين محمود، صاحبَ الشام، ملتجئاً إليه، فأمّنه وسيّر معه عسكراً يمنعه من الفرنج أيضاً، فظهر عليهم في الطريق كمين للفرنج، فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون.

وفيها ملك قُرا أرسلان، صاحب حصن كيفا، قلعة شَاتان، وكانت لطائفة من الأكراد يقال لهم الجُونيّة[1]، فلمّا ملكها خرّبها وأضاف ولايتها إلى حصن طالب.

[الوَفَيات]

وفيها توفّي الكمال حمزة بن عليّ بن طلحة[2] صاحب المخزن، كان جليل القدر أيّام المسترشد بالله، ووليَ المقتفي، وبنى مدرسة لأصحاب الشافعيّ بالقرب من داره، ثمّ حجّ وعاد وقد لبس الفُوَط وزِيّ الصوفيّة وترك الأعمال، فقال بعض الشعراء فيه:

يا عَضُدَ الإسلام يا مَن سَمَتْ ... إلى العلا هِمّتُهُ الفاخِرَهْ
كانَتْ لكَ الدّنيا، فلَم تَرْضَها ... مُلكاً[3] فأخذْتَ إلى الآخِرَهْ[4]

وبقي منقطعاً في بيته عشرين سنة، ولم يزل محترماً يَغشاه النّاس كافّة.

---

(١) في (ب): «المجوبية».

(٢) أنظر عن (حمزة بن علي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٦ هـ.) ص ١٩٤، ١٩٥ رقم ٢٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) في (أ): «داراً».

(٤) المنتظم ١٠/٢٠٢ (١٨/١٥٠).

(٥٥٧)
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

ذكر فتح المؤيّد طوس وغيرها

في هذه السنة، في السابع والعشرين من صفر، نازل المؤيّد أي أَبَه أبا بكر جاندار بقلعة وَسْكَره خُوي من طُوس وكان قد تحصّن بها، وهي حصينة منيعة لا تُرام، فقاتله وأعانه أهل طوس على أبي بكر لسوء سيرته فيهم وظُلمه، فلمّا رأى أبو بكر ملازمة المؤيّد ومواصلة القتال عليه خضع وذلّ واستكان، ونزل من القلعة بالأمان في العشرين من ربيع الأوّل من السنة، فلمّا نزل منها حبسه المؤيّد وأمر بتقييده.

ثمّ سار منها إلى كُرستان، وصاحبها أبو بكر فاخر، فنزل من قلعته، وهي من أمنع الحصون على رأس جبل عال، وصار في طاعة المؤيّد، ودان له ووافقه، وسيّر جيشاً في جُمادى الآخرة منها إلى أسفرايين، فتحصّن رئيسها عبد الرحمن بن محمّد بن عليّ الحاجّ بالقلعة، وكان أبوه كريم خُراسان على الإطلاق، ولكن كان عبد الرحمن هذا بئس الخَلَف[1]، فلمّا تحصّن أحاط به العسكر المؤيّديّ، واستنزلوه من الحصن، وحملوه مقيّداً إلى شاذياخ وحُبس بها؛ وقيل في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة.

وملك المؤيّد أيضاً قَهَندز نَيسابور، واستدارت مملكة المؤيّد حول نَيسابور وعادت إلى ما كانت عليه قبل، إلاّ أنّ أهلها انتقلوا إلى شاذياخ، وخربت المدينة العتيقة.

وسيّر المؤيّد جيشاً إلى خَوَاف، وبها عسكر مع بعض الأمراء اسمع أرغش، فكمّن أرغش جمعاً في تلك المضايق والجبال، وتقدّم إلى عسكر المؤيّد فقاتلهم وطلع

---

(١) في الأوربية: «الخلق».

الكمين، فانهزم عسكر المؤيّد وقُتل منهم جمعٌ، وعاد الباقون إلى المؤيّد بنَيسابور.

وسيّر جيشاً إلى بُوشَنج هَراة، وهي في طاعة الملك محمّد بن الحسين الغُوريّ، فحصروها، واشتدّ الحصار عليها، ودام القتال والزحف، فسيّر الملك محمّد الغُوريّ جيشاً إليها ليمنع عنها، فلمّا قاربوا هراة فارقها العسكر الذي يحصرها، وعادوا عنها وصفت تلك الولاية للغوريّة.

ذكر أخذ ابن مَردَنيش غَرناطة من عبد المؤمن وعَودها إليه

في هذه السنة أرسل أهل غَرناطة من بلاد الأندلس، وهي لعبد المؤمن، إلى الأمير إبراهيم بن هَمشك صهر ابن مَردَنيش، فاستدعوه إليهم ليسّلموا إليه البلد؛ وكان قد وحّد، وصار من أصحاب عبد المؤمن، وفي طاعته، وممّن يحرّضه على قصد ابن مَردنيش. ففارق طاعة عبد المؤمن وعاد إلى موافقة ابن مَردَنيش. فلمّا وصل إليه رُسُل أهل غَرناطة سار معهم إليها، فدخلها وبها جمع من أصحاب عبد المؤمن، فامتنعوا بحصنها، فبلغ الخبر أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مَالِقَة، فجمع الجيش الذي كان عنده وتوّجه إلى غَرناطة لنصرة مَن فيها من أصحابهم، فعلم بذلك إبراهيم بن همشك، فاستنجد ابن مردنيش، ملك البلاد بشرق الأندلس، فأرسل إليه ألفَيْ فارس من أنجاد أصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه، فاجتمعوا بضواحي غَرناطة، فالتقوا هم ومَن بغَرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول أبي سعيد إليهم، فاشتدّ القتال بينهم، فانهزم عسكر عبد المؤمن، وقدم أبو سعيد، واقتتلوا أيضاً، فانهزم كثير من أصحابه، وثبت معه طائفة من الأعيان والفرسان المشهورين، والرجّالة الأجلاد، حتى قُتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذٍ أبو سعيد ولحق بمالقة.

وسمع عبد المؤمن الخبر، وكان قد سار إلى مدينة سلا، فسيّر إليهم في الحال ابنه أبا يعقوب يوسف في عشرين ألف مقاتل، فيهم جماعة من شيوخ الموحّدين، فجدّوا المسير، فبلغ ذلك ابن مردنيش، فسار بنفسه وجيشه إلى غَرناطة ليعين[1] ابن همشك، فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير، فنزل ابن مردنيش في الشريعة بظاهرها، ونزل العسكر الذي كان أمدّ به ابن همشك[2] أوّلاً، وهم ألفا فارس، بظاهر القلعة

---

(١) في (ب): «ليمنع».

(٢) في (أ): «ونزل ابن همشك بظاهر القلعة».

الحمراء، ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه، ووصل عسكر عبد المؤمن إلى جبلٍ قريب من غَرناطة، فأقاموا في سفحه أيّاماً ثمّ سيّروا أربعة آلاف فارس، فبيّتوا العسكر الذي بظاهر القلعة الحمراء، وقاتلوهم من جهاتهم، فما لحِقوا يركبون، فقتلوهم عن آخرهم.

وأقبل عسكر عبد المؤمن بجملته، فنزلوا بضواحي غَرناطة، فعلم ابن مردنيش وابن همشك أنّهم لا طاقة لهم بهم، ففرّوا في اللّيلة الثانية، ولحِقوا ببلادهم، واستولى الموحّدون على غَرناطة في باقي السنة المذكورة، وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا إلى مَرّاكُش[1].

ذكر حصر نور الدّين حارم

في هذه السنة[2] جمع نور الدّين محمود بن زنكي بن آقسنْقر، صاحب الشام، العساكر بحلب، وسار إلى قلعة حارم، وهي للفرنج غربيّ حلب، فحصرها وجدّ في قتالها، فامتنعت عليه بحصانتها، وكثرة مَن بها من فرسان الفرنج ورجّالتهم وشجعانهم، فلمّا علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد، وحشدوا، واستعدّوا، وساروا نحوه ليرحلّوه عنها، فلمّا قاربوه طلب منهم المصافّ، فلم يجيبوه إليه، وراسلوه، وتلطّفوا الحال معه، فلمّا رأى أنّه لا يمكنه أخذ الحصن، ولا يجيبونه إلى المصافّ، عاد إلى بلاده.

وممّن كان معه في هذه الغزوة مؤيّد الدولة أُسامة بن مُرشِد بن مُنقِذ الكِنانيّ، وكان من الشجاعة في الغاية، فلمّا عاد إلى حلب دخل إلى مسجد شَيْزَر، وكان قد دخله في العام الماضي سائراً إلى الحجّ، فلمّا دخله الآن كتب على حائطه:

لكَ الحَمدُ يا مَوْلايَ كمَ لك مِنّة[3]، علَيّ وفضلٌ[4] لا يُحيطُ به شُكرِي

---

(1) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(2) يذكر ابن الأثير ـ رحمه الله ـ هذا الخبر في كتابه «التاريخ الباهر ١٠٩» على أنه كان في سنة ٥٥١ هـ.، ثم عاد وذكره في هذه السنة (ص ١١٦)، وقد تقدّم فعلاً في حوادث تلك السنة من هذا الكتاب.
وقد تابعه أبو شامة فذكر الخبر في الموضعين في كتاب «الروضتين» سنة (٥٥٥ هـ. ص ٢٥٣، ٢٥٤، وسنة ٥٥٧ هـ. ـ ص ٣١٧.

(3) في (أ): «كم لك من يد».

(4) في طبعة صادر ١١/ ٢٨٥ «وفضلاً»، والتصحيح من (ب) والروضتين، والتاريخ الباهر.

نَـزَلْـتُ بِهـذا المَسجـدِ العـامَ قـافِـلاً — مِـنَ الغَـزْوِ مـوْفـورَ النّصيـبِ مـن الأجـرِ
وَمنهُ رَحلتُ العِيسَ[1] في عاميَ الذي — مَضَـى نحـوَ بَيـتِ اللّـهِ والـرّكـنِ والحِجـرِ
فـأدّيـتُ مَفـرُوضـي وأسقَطـتُ ثقـلَ مـا — تحَمّلتُ من وِزْرِ الشّبيبَةِ عن ظَهرِي[2]

ذكر مُلك الخليفة قلعة الماهكي

في هذه السنة، في رجب، ملك الخليفة المستنجد باللّه قلعة الماهكي، وسبب ذلك أنّ سُنقُر الهمذانيّ، صاحبها، سلّمها إلى أحد مماليكه ومضى إلى هَمَذان، فضعف هذا المملوك عن مقاومة مَنْ حولها من التركمان والأكراد، فأشير عليه ببيعها من الخليفة، فراسل في ذلك، فاستقرّت[3] [على] خمسة عشر ألف دينار وسلاح وغير ذلك من الأمتعة، وعدّة من القُرى، فسلّمها وتسلّم ما استقرّ له، وأقام ببغداد. وهذه القلعة لم تزل من أيّام المقتدر باللّه بأيدي التركمان والأكراد وإلى الآن.

ذكر الحرب بين المسلمين والكُرج

في هذه السنة، في شعبان، اجتمعت الكُرج في خلق كثير يبلغون ثلاثين ألف مقاتل، ودخلوا بلاد الإسلام، وقصدوا مدينة دُوَين من أذرَبيجان، فملكوها ونهبوها، وقتلوا من أهلها وسوادها نحو عشرة آلاف قتيل، وأخذوا النساء سبايا، وأسروا كثيراً، وأعروا النساء وقادوهنّ حُفاة عُراة، وأحرقوا الجوامع[4] والمساجد؛ فلمّا وصلوا إلى بلادهم أنكر نساء الكُرج ما فعلوا بنساء المسلمين، وقلن لهم: قد أحوجتم المسلمين (إلى أن يفعلوا)[5] بنا مثل ما فعلتم بنسائهم؛ وكسونهنّ.

ولمّا بلغ الخبر إلى شمس الدّين إيلدكز، صاحب أذربِيجان والجبل وأصفهان، جمع عساكره وحشدها، وانضاف إليه شاه أرمن بن سُكمان القطبي، صاحب خِلاط، وابن آقسنقر، صاحب مَراغة وغيرها، فاجتمعوا في عسكرٍ كثير يزيدون على خمسين ألف مقاتل، وساروا إلى بلاد الكُرج في صفر سنة ثمانٍ وخمسين [وخمسمائة] ونهبوها

---

(١) في الأوربية: «العيش».
(٢) الروضتين ج ١ ق ٣١٧/١، التاريخ الباهر ١١٦.
(٣) في الأوربية: «فاستقرّ».
(٤) في الأوربية: «الجامع».
(٥) في الأوربية: «يفعلون».

وسبوا النساء والصبيان، وأسروا الرجال، ولقيهم الكُرج، واقتتلوا أشدّ قتال صبر فيه الفريقان، ودامت الحرب بينهم أكثر من شهر، وكان الظَّفَر للمسلمين، فانهزم الكُرج وقُتل منهم كثير وأُسر كذلك.

وكان سبب الهزيمة أنّ بعض الكُرج حضر عند إيلدكز، فأسلم على يديه، وقال له: تعطيني عسكراً حتّى أسير بهم في طريق أعرفها وأجيء إلى الكُرج من ورائهم وهم لا يشعرون! فاستوثق منه، وسيّر معه عسكراً وواعده يوماً يصل فيه إلى الكُرج، فلمّا كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكُرج، فبينما هم في القتال وصل ذلك الكُرجيّ الذي أسلم ومعه العسكر، وكبّروا وحملوا على الكُرج من ورائهم، فانهزموا، وكثُر القتل فيهم والأسر، وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يدخل تحت الإحصاء لكثرته، فإنّهم كانوا متيقّنين الظفر لكثرتهم، فخيّب الله ظنّهم، وتبِعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيّام بلياليها، وعاد المسلمون منصورين قاهرين[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصل الحجّاج إلى مِنى، ولم يتمّ الحجّ لأكثر النّاس لصدّهم عن دخول مكّة والطواف والسعي، فمن دخل يوم النّحر مكّة وطاف وسعى كمّل حجَّه، ومَن تأخّر عن ذلك مُنع دخول مكّة لفتنةٍ جرت بين أمير الحاجّ وأمير مكّة. كان سببها أنّ جماعة من عبيد مكّة أفسدوا في الحاجّ بمِنَى، فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاجّ[2] فقتلوا منهم جماعة، ورجع مَن سلم إلى مكّة، وجمعوا جمعاً، وأغاروا على جِمال الحاجّ، وأخذوا منها قريباً من ألف جمل، فنادى أمير الحاجّ في جُنده، فركبوا بسلاحهم، ووقع القتال بينهم، فقُتل جماعة، ونهب جماعة من الحاجّ وأهل مكّة، فرجع أمير الحاجّ ولم يدخل مكّة، ولم يقم بالزّاهر غير يومٍ واحد، وعاد كثير من النّاس رجّالةً لقلّة الجِمال، ولقوا شدّة[3].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/٣٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٧ هـ.) ص ٣٥، العبر ٤/١٦٦، دول الإسلام ٢/٧٢، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٤، البداية والنهاية ١٢/٢٤٥.

(٢) في (ب): «الحاج أرعش».

(٣) المنتظم ١٠/٢٠٢، ٢٠٣، (١٨/١٥٢)، المختصر في أخبار البشر ٣/٣٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/٢٥١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٧ هـ.) ص ٣٥، العبر ٤/١٦٢، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٤، مرآة الجنان ٣/٣١٢.

وممّن حجّ هذه السنة جدّتنا أمّ أبينا، ففاتها الطواف والسعي، فاستُفتي لها الشيخ الإمام أبو القاسم بن البرريّ، فقال: تدوم على ما بقي عليها[1] من إحرامها، وإن أحبّت تفدي وتحلّ من إحرامها إلى قابل، وتعود إلى مكّة، فتطوف وتسعى، فتكمّل الحجّة الأولى، ثمّ تُحرِمُ إحراماً ثانياً، وتعود إلى عرفات، فتقف وترمي الجمار، وتطوف وتسعى، فتصير لها حجّة ثانية؛ فبقيت على إحرامها إلى قابل، وحجّت وفعلت كما قال، فتمّ حجّها الأوّل والثّاني.

وفيها نزل بخراسان بَرَد كثير عظيم المقدار، أواخر نيسان، وكان أكثره بجُوَين ونَيسابور وما والاهما، فأهلك الغلّات، ثمّ جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيّام[2].

وفيها، في جمادى الآخرة، وقع الحريق ببغداد، احترق سوق الطُّيُوريّين والدُّور التي تليه مقابله إلى سوق الصفّر الجديد، والخان الذي في الرحبة، ودكاكين البُزُوريّين وغيرها[3].

وفيها تُوفّي الكيا الصّباحيّ[4]، صاحب أَلَمُوت، مقدّم الإسماعيليّة، وقام ابنه مقامه، فأظهر التوبة، وأعاد هو ومَن معه الصلوات وصيام شهر رمضان، وأرسلوا إلى (قَزوين يطلبون مَن يصلّي)[5] بهم، ويعلمهم حدود الإسلام، فأرسلوا إليهم.

وفيها، في رجب، درّس شرف الدّين يوسف الدّمشقيّ في المدرسة النظاميّة ببغداد[6].

[الوفيات]

وفيها تُوفيّ شجاع الفقيه[7] الحنفي ببغداد، وكان مدرّساً بمدرسة أبي حنيفة،

---

(١) في (أ): «تبقى على ما هي عليه».
(٢) في (أ): «أياماً»، وفي (ب): «دام عدة».
(٣) المنتظم ١٠/٢٠٣ (١٨/١٥٢)، دول الإسلام ٢/٧٢، تاريخ الإسلام ٣٥.
(٤) أنظر عن (إلكيا الصباحي) في: اللباب ٣/٢٣٤، وتاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٧ هـ.) ص ٢٣٥ رقم ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٩٣.
(٥) في (ب): «قزوين طلبوا أعلاماً سوداً فأرسلوا»، وفي الأوربية: «من يصلّ».
(٦) المنتظم ١٠/٢٠٣ (١٨/١٥٢).
(٧) أنظر عن (شجاع الفقيه) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٧ هـ.) ص ٢٢٥ رقم ٢٤٤ وفيه مصادر =

وكان موته في ذي القعدة.

وفيها[1]، تُوفّي صَدَقة بن وزير[2] الواعظ.

وفيها، في المحرّم، تُوفّي الشيخ عَدِيّ بن مسافر[3] الزّاهد المقيم ببلد الهكّاريّة من أعمال الموصل، وهو من الشام، من بلدِ بَعْلَبَكّ، فانتقل إلى الموصل، وتبِعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه، وحسّنوا الظّنّ فيه، وهو مشهور جدّاً.

= ترجمته.

(1) من (أ).

(2) أنظر عن (صدقة بن وزير) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٧ هـ.) ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨ رقم ٢٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(3) أنظر عن (عديّ بن مسافر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٧ هـ.) ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ رقم ٢٤٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥٥٨)
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

ذكر وزارة شاوُر للعاضد بمصر ثمّ وزارة الضّرغام بعده

في هذه السنة، في صفر، وزر شاوُر للعاضد لدين اللّه العلويّ [صاحب مصر، وكان ابتداء أمره ووزارته أنّه كان يخدم الصالح][١] بن رزّيك ولزِمه، فأقبل عليه الصالح وولاه الصّعيد، وهو أكبر الأعمال بعد الوزارة، فلمّا وليَ الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدّم زائد، واستمال الرعيّة والمقدَّمين من العرب وغيرهم، فعسُر أمره على الصالح، ولم يمكنه عزله، فاستدام استعماله لئلاّ يخرج عن طاعته. فلمّا جُرح الصالح كان من جُملة وصيّته لولده العادل: إنّك لا تغيّر على شاوُر، فإنّني أنا أقوى منك وقد ندمتُ على استعماله، ولم يمكنّي عزله، فلا تغيّروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون.

فلمّا تُوفّي الصالح من جراحته ووليَ ابنه العادل الوزارة حسّن له أهله عزل شاوُر واستعمال بعضهم مكانه، وخوّفوه منه إن أقرّه على عمله، فأرسل إليه بالعزل، فجمع جموعاً كثيرة وسار إلى القاهرة بهم، فهرب منه العادل ابن الصالح بن رُزّيك فأُخذ وقُتل، فكانت مدّة وزارته ووزارة أبيه قبله تسع سنين وشهراً وأيّاماً، وصار شاور وزيراً، وتلقّب بأمير الجيوش، وأخذ أموال بني رُزّيك وودائعهم وذخائرهم، وأخذ منه (أيضاً طيّ والكامل ابنا شاور)[٢] شيئاً كثيراً، وتفرّق كثير منها، وجُحد كثير، وظهرت عليهم عند انتقال الدّولة عن شاوُر والمصريّين إلى الأتراك.

ثمّ إنّ الضّرغام جمع جموعاً كثيرة، ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان،

---

(١) ما بين الحاصرتين من الباريسية.

(٢) ما بين القوسين من (أ).

وظهر أمره، وانهزم شاور منه إلى الشام، على ما نذكره سنة تسعٍ وخمسين وخمسمائة، وصار ضِرغام وزيراً.

وكان هذه السنة ثلاثة وزراء: العادل بن رُزّيك، وشاوُر، وضِرغام، فلمّا تمكّن ضِرغام من الوزارة قتل كثيراً من الأمراء المصريّين لتخلو له البلاد من منازع، فضعفت الدولة بهذا حتّى خرجت البلاد عن أيديهم[1].

ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف

في هذه السنة، في العشرين من جمادى[2] الآخرة. توفّي عبد المؤمن بن عليّ، صاحب بلاد المغرب، وإفريقية، والأندلس، وكان قد سار من مَرّاكُش إلى سلا، فمرض بها ومات.

ولمّا حضره الموت جمع شيوخ الموحّدين من أصحابه، وقال لهم: قد جرّبت ابني محمّداً، فلم أره يَصلُح لهذا الأمر، وإنّما يَصلُح له ابني يوسف، وهو أَوْلَى بها، فقدّموه لها، ووصّاهم به، وبايعوه ودُعي بأمير المؤمنين؛ وكتموا موت عبد المؤمن، وحُمل من سلا في مِحَفّة بصورة أنّه مريض إلى أن وصل إلى مَرّاكُش.

وكان ابنه أبو حفص في تلك المدّة حاجباً لأبيه، فبقي مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للنّاس: أمير المؤمنين أمر بكذا؛ ويوسف [لم] يقعد مقعد أبيه إلى أن كملت المبايعة له في جميع البلاد، واستقرّت قواعد الأمور له، ثمّ أظهر موت أبيه عبد المؤمن، فكانت ولايته ثلاثاً[3] وثلاثين سنة وشهوراً وكان عاقلاً، حازماً، سديد الرأي، حسن السياسة للأمور، كثير البذل للأموال، إلاّ أنّه كان كثير السفك لدماء المسلمين على الذّنب الصغير.

---

(١) النكت العصرية ٤٩،٥٣، خريدة القصر (قسم مصر) ١/١٨٠، أخبار الدول المنقطعة ٨٥، ١١٢ـ١١٤، المغرب في حلى المغرب ٩٤، الروضتين ج ١ ق ٢/٣٣١، المختصر في أخبار البشر ٣/٤٠، نهاية الأرب ٢٨/٣٢٨،٣٢٩، الدر المطلوب ٢٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٨ هـ.) ص ٣٧ دول الإسلام ٢/٢٧، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٦، الوافي بالوفيات ١٤/١١٨ رقم ١٤٩، الكواكب الدرية ١٦٣، إتعاظ الحنفا ٣/٢٥١ ـ ٢٥٤ و٢٥٧ ـ ٢٥٩، الجوهر الثمين ١/٢٦٧، النجوم الزاهرة ٥/٣٤٦،٣٤٧،٣٦٣، حسن المحاضرة ٢/١٢٣، تاريخ ابن سباط ١/١١٣.

(٢) في (أ): «في جمادى»، وفي (ب): «في العشر من».

(٣) في الأوربية: «ثلاثة».

وكان يعظّم أمر الدّين ويقوّيه، ويُلزم النّاس في سائر بلاده بالصلاة، ومَن رُؤي وقت الصلاة غير مُصَلٍّ قُتل، وجمع النّاس بالغرب على مذهب مالك في الفروع، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعريّ في الأصول، وكان الغالب على مجلسه أهل العِلم والدّين، المرجع إليهم، والكلام معهم ولهم[١].

ذكر مُلك المؤيّد أعمال قومس والخطبة للسلطان أرسلان بخُراسان

في هذه السنة سار المؤيّد أي أبَه، صاحب نَيسابور، إلى بلاد قُومِس، فملك بِسطام ودامغان، واستناب بقُومِس مملوكه تُنكز[٢]، فأقام تنكز بمدينة بِسطام، فجرى بين تنكز وبين شاه مازَندرَان اختلاف أدّى إلى الحرب، فجمع كلّ منهما عسكره، والتقوا أوائل ذي الحِجّة في هذه السنة، واقتتلوا، فانهزم عسكر مازَندَران، وأُخذت أسلابهم، وقُتل منهم طائفة كبيرة.

ولمّا ملك المؤيّد بلاد قُومِس أرسل إليه السلطان أرسلان بن طُغرُل بن محمّد بن ملكشاه خِلعاً نفيسةً، وألويةً معقودة، وهديّة جليلة، وأمره أن يهتم باستيعاب بلاد خُراسان ويتولّى ذلك أجمع، وأن يخطب له، فلبس المؤيّد الخلع، فخطب له في البلاد التي هي بيده.

وكان السبب في هذا أتابك شمس الدّين إيلدكز، فإنّه كان هو الذي يحكم في مملكة أرسلان، وليس لأرسلان غير الاسم؛ وكان بين إيلدكز وبين المؤيّد مودّة ذكرناها عند قتل المؤيد، فلمّا أطاع المؤيّد السلطان أرسلان خطب له ببلاده، وهي بلاد قُومِس، ونَيسابور، وطُوس، وأعمال نَيسابور جميعُها، ومن نَسا إلى طَبَس كَنكَلي[٣]، وكان يخطب لنفسه بعد أرسلان، وكانت الخطبة في جُرجان ودِهِسْتان لخُوارزم شاه أيل أرسلان بن أَتسِز، وبعده للأمير إيثاق[٤]؛ وكانت الخطبة في مَرْوَ وبَلْخَ وهَراة وسَرْخَس، وهذه البلاد بيد الغُزّ، إلاّ هراة فإنّها كانت بيد الأمير

---

(١) أنظر عن وفاة «عبد المؤمن» في: نهاية الأرب ٢٤/ ٣٢١، ٣٢٢ والمصادر الكثيرة التي ذكرتها في تحقيقي لتاريخ الإسلام (٥٥١ ـ ٥٦٠ هـ.) ص ٢٥٢ رقم ٢٨٠.

(٢) في (ب): «تنكر».

(٣) في (أ) و(ب): «كيلكي».

(٤) في (أ): «ايتاق».

ايتِكين[1]، وهوَ مسالم للغُزّ، فكانوا يخطبون للسلطان سَنجَر فيقولون: اللهمّ اغفر للسلطان السعيد المبارك على المسلمين سَنجَر، وبعده للأمير الذي هو الحاكم في تلك البلاد[2].

ذكر قتل الغزّ ملك الغُور

في هذه السنة، في رجب، قُتل سيف الدين محمّد بن الحسين الغُوريّ، ملك الغُور، قتله الغُزّ.

وسبب ذلك أنّه جمع عساكره وحشد فأكثر، وسار من جبال الغُور يريد الغُزّ وهم ببلخ، واجتمعوا، وتقدّموا إليه، فاتّفق أنّ ملك الغور خرج من معسكره في جماعة من خاصّته، جريدةً، فسمع به أمراء الغزّ، فساروا يطلبونه مجدّين قبل أن يعود إلى معسكره، فأوقعوا به، فقاتلهم أشدّ قتال رآه النّاس، فقُتل ومعه نفر ممّن كان معه، وأسرت طائفة، وهربت طائفة، فلحقوا بمعسكرهم وعادوا إلى بلادهم منهزمين لا يقف الأب على ابنه ولا الأخ على أخيه، وتركوا كلّ ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم.

فكان عمر ملك الغور لمّا قُتل نحو عشرين سنة، وكان عادلاً حسن السيرة، فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم أنّه حاصر أهل هراة، فلمّا ملكها أراد عسكره أن ينهبوها، فنزل على درب المدينة، وأحضر الأموال والثياب، فأعطى جميع عسكره منها، وقال: هذا خيرٌ لكم من أن تنهبوا أموال المسلمين وتُسخطوا اللّه تعالى، فإنّ المُلك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم؛ ولمّا قُتل عاد الغُزّ إلى بلخ ومرو وقد غنموا شيئاً كثيراً من العسكر الغُوريّ لأن أهله تركوه ونجَوْا[3].

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

في هذه السنة انهزم نور الدّين محمود بن زنكي من الفرنج، تحت حصن الأكراد، وهي الوقعة المعروفة بالبُقَيْعة، وسببها أنّ نور الدّين جمع عساكره ودخل بلاد الفرنج ونزل في البُقَيْعة تحت حصن الأكراد، محاصراً له وعازماً على قصد طرابُلُس

---

(1) في (أ): «انكن».

(2) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٥٥٨ هـ.) ص ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٧.

(3) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٨ هـ.) ص ٣٨، دول الإسلام ٢/ ٧٢، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٦.

ومحاصرتها، فبينما النّاس يوماً في خيامهم، وسط النهار، لم يَرُعهم إلاّ ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي عليه حصن الأكراد، وذلك أنّ الفرنج اجتمعوا واتّفق رأيهم على كبسة المسلمين نهاراً، فإنّهم يكونون آمنين، فركبوا من وقتهم، ولم يتوقّفوا حتّى يجمعوا عساكرهم، وساروا مُجِدّين، فلم يشعر بذلك المسلمون إلاّ وقد قربوا منهم، فأرادوا منعهم، فلم يطيقوا ذلك، فأرسلوا إلى نور الدّين يعرّفونه الحال، فرهقهم الفرنج بالحملة[1]، فلم يثبت المسلمون، وعادوا يطلبون معسكر المسلمين، والفرنجُ في ظهورهم، فوصلوا معاً إلى العسكر النّوريّ، فلم يتمّكن المسلمون من ركوب الخيل، وأخذ السلاح، إلاّ وقد خالطوهم، فأكثروا القتل والأسر.

وكان أشدّهم على المسلمين الدّوقُس الروميّ، فإنّه كان قد خرج من بلاده إلى الساحل في جمع كثير من الروم، فقاتلوا محتسبين في زعمهم، فلم يبقوا على أحد، وقصدوا خيمة نور الدّين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه، ولسرعته ركب الفرس والشبحة في رِجله، فنزل إنسان كرديّ قطعها، فنجا نور الدّين، وقُتل الكرديّ، فأحسن نور الدّين إلى مخلّفيه، ووقف عليهم الوقوف.

ونزل نور الدّين على بحيرة قَدَس بالقرب من حِمص، وبينه وبين المعركة أربعة فراسخ، وتلاحق به مَن سلم من العسكر، وقال له بعضهم: ليس من الرأي أن تقيم هاهنا، فإنّ الفرنج ربّما حملهم الطَّمع على المجيء إلينا، فنؤخذ[2] ونحن على هذا الحال؛ فوبّخه وأسكته، وقال: إذا كان معي ألف فارس لقيتُهم ولا أبالي بهم، ووالله لا أستظلّ بسقفٍ حتّى آخذ بثأري وثأر الإسلام؛ ثمّ أرسل إلى حلب ودمشق، وأحضر الأموال والثياب والخيام والسلاح والخيل، فأعطى اللّباس عوَض ما أُخذ منهم جميعه بقولهم، فعاد العسكر كأن لم تُصبه هزيمة، وكلّ من قُتل أعطى أقطاعه لأولاده.

وأمّا الفرنج فإنّهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لأنّها أقرب البلاد إليهم، فلمّا بلغهم نزول نور الدّين بينها وبينهم قالوا: لم يفعل هذا إلاّ وعنده قوّة يمنعنا بها.

ولمّا رأى أصحاب نور الدّين كثرة خرجه قال له بعضهم: إنّ لك في بلادك

(١) من (أ).
(٢) من (أ).

إدرارات وصدقات كثيرة على الفقهاء والفقراء والصوفيّة والقرّاء، وغيرهم، فلو استعنتَ [بها] في هذا الوقت لكان أصلح؛ فغضب من ذلك وقال: واللّه إنّي لا أرجو النصر إلاّ بأولئك[1] فإنّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم؛ كيف أقطع صِلات قومٍ يقاتلون عنّي، وأنا نائم على فراشي، بسهام لا تخطىء، وأصرفها إلى مَن لا يقاتل عنّي إلاّ إذا رآني بسهام قد تصيب وقد تخطىء، وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال كيف يحلّ لي أن أعطيه غيرهم؟

ثمّ إنّ الفرنج راسلوا نور الدّين يطلبون منه الصلح، فلم يُجبهم، وتركوا عند حصن الأكراد مَن يحميه وعادوا إلى بلادهم[2].

ذكر إجلاء بني أسد من العراق

في هذه السنة أمر الخليفة المستنجد باللّه بإهلاك بني أسد أهل الحِلّة المَزْيَديّة، لما ظهر من فسادهم، ولما كان في نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمّداً لما حصر بغداد، فأمر يَزدَن بن قَماج بقتالهم وإجلائهم من البلاد، وكانوا منبسطين في البطائح، فلا يقدر عليهم، فتوجّه يزدن إليهم، وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل، وأرسل إلى ابن معروف مقدّم المُنْتَفِق، وهو بأرض البصرة، فجاء في خلق كثير وحصرهم وسكّر عنهم الماء، وصابرهم مدّة، فأرسل الخليفة يعتب على يزدن ويعجّزه وينسبه إلى موافقتهم في التّشيّع، وكان يزدن يتشيّع، فجدّ هو وابن معروف في قتالهم والتّضييق عليهم، وسدّ مسالكهم في الماء، فاستسلموا حينئذٍ، فقُتل منهم أربعة آلاف قتيل، ونادى فيمن بقي: مَن وُجد بعد هذا في الحِلة المَزْيَديّة فقد حلّ دمه؛ فتفرّقوا في البلاد، ولم يبقَ منهم بالعراق مَن يُعرَف، وسُلّمت بطائحهم إلى ابن معروف وبلادهم[3].

---

(١) في (أ): «باولئك وكيف».

(٢) التاريخ الباهر ١١٦ ـ ١١٨، كتاب الروضتين ١/٣١٨ ـ ٣٢٠، ٤٢٢، زبدة الحلب ٢/٣١٣، تاريخ الزمان ١٧٦، المختصر في أخبار البشر ٣/٤١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٨ هـ.) ص ٣٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٥، العبر ٤/١٦٣، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٧، الإعلام والتبيين (حوادث سنة ٥٥٧ هـ.)، البداية والنهاية ١٢/٢٤٦، الكواكب الدرية ١٦١، تاريخ ابن سباط (بتحقيقنا) ١/١١٤، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/٥١١ ـ ٥١٣.

(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/٤١، تاريخ الإسلام (٥٥٨ هـ.) ص ٣٨، دول الإسلام ٢/٧٣، العبر =

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقع في بغداد حريق في باب درب فَرَاشا إلى مشرعة الصبّاغين من الجانبين[١].

[الوَفَيَات]

وفيها، في رجب، تُوفّي سديد الدّولة أبو عبد اللّه محمّد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الأنباريّ[٢]، كاتب الإنشاء بديوان الخلافة، وكان فاضلاً أديباً ذا تقدّم كثير عند الخلفاء والسلاطين، وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة إلى الآن في ديوان الخلافة، وعاش حتّى قارب تسعين سنة.

وتُوفّي في رمضان هبة اللّه بن الفضل[٣] بن عبد العزيز بن محمّد أبو القاسم المتّوثيّ، سمع الحديث؛ وهو من الشعراء المشهورين، إلاّ أنّه كثير الهجو، ومن شِعره:

يـا مَـن هَجـرْتِ وَلا[٤] تُبـالـي ... هـلْ تَـرْجـعُ دولَـةُ الـوِصَـالِ

هَـل أَطمَـعُ يـا عَـذابَ[٥] قَلبـي ... أنْ يَنْعَـمَ فـي هَـواكِ بـالـي

الطّـرْفُ كَمـا عَهـدتِ[٦] بـاكِ ... وَالجِسْـمُ كمَـا تَـرَيـنَ بَـالـي

مـا ضَـرّكِ أنْ تُعَلّلينـي ... فـي الـوَصْـلِ بمَـوْعِـدِ المحـالِ

أهَـواكِ وأنـتِ حَـظُّ غَيـري ... يـا قـاتِلَتـي فمـا احتيـالـي

وهي أكثر من هذا[٧].

= ٤/ ١٦٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٦، شذرات الذهب ٤/ ١٨١.

(١) المنتظم ١٠/ ٢٠٥ (١٨/ ١٥٦).

(٢) أنظر عن (ابن الأنباري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٨ هـ.) ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ رقم ٢٩١ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (هبة الله بن الفضل) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٨ هـ.) ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧ رقم ٢٩٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الخريدة: «فلا».

(٥) في تاريخ الإسلام: ما أطمع يا حياة.

(٦) في تاريخ الإسلام: الطرف من الصدود.

(٧) الأبيات مع زيادة في: المنتظم ١٠/ ٢٠٧ (١٨/ ١١٨)، الخريدة (قسم العراق) ٢/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٨ هـ.) ص ٢٧٦، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٦.

(٥٥٩)
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

ذكر مسير شِيركُوه وعساكر نور الدين إلى ديار مصر وعودهم عنها

في هذه السنة، في جمادى الأولى، سيّر نور الدّين محمود بن زنكي عسكراً كثيراً إلى مصر، وجعل عليهم الأمير أسد الدّين شِيركُوه بن شاذي، وهو مقدّم عسكره، وأكبر أمراء دولته، وأشجعهم، وسنذكر سنة أربعٍ وستّين [وخمسمائة] سبب اتّصاله بنور الدّين وعُلُوّ شأنه عنده إن شاء اللّه تعالى.

وكان سبب إرسال هذا الجيش أنّ شاوُر وزير العاضد لدين اللّه العلويّ، صاحب مصر، نازعه في الوزارة ضِرغام، وغلب عليها، فهرب شاور منه إلى الشام، ملتجئاً إلى نور الدّين، ومستجيراً به، فأكرم مثواه، وأحسن إليه، وأنعم عليه، وكان وصوله في ربيع الأوّل من السنة، وطلب منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه، ويكون لنور الدّين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر، ويكون شيركوه مُقيماً بعساكره في مصر، ويتصرّف هو بأمر نور الدّين واختياره؛ فبقي نور الدّين يقدّم إلى هذا الغرض رِجلاً ويؤخّر أخرى، فتارةً يحمله رعايةً لقصد شاور بابَه، وطلب الزّيادة في المُلك والتقوّي على الفرنج، وتارة يمنعه خطر الطّريق، وأنّ الفرنج فيه؛ وتخوّف أنّ شاور إن استقرّت قاعدته ربّما لا يفي.

ثمّ قوّى عزمه على إرسال الجيوش، فتقدّم بتجهيزها وإزاحة عللها، وكان هوى أسد الدّين في ذلك، وعنده من الشجاعة وقوّة النفس ما لا يبالي بمخافة، فتجهزّ، وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم، في جُمادى الأولى من سنة تسعٍ وخمسين [وخمسمائة]، وتقدّم نور الدّين إلى شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه، وينتقم له ممّن نازعه فيه.

وسار نور الدّين إلى طرف بلاد الفرنج ممّا يلي دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرّض لأسد الدّين ومَن معه، فكان قُصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدّين، ووصل أسد الدّين والعساكر معه إلى مدينة بِلْبِيس، فخرج إليهم ناصر الدّين أخو ضِرغام بعسكر المصريّين ولقيهم، فانهزم وعاد إلى القاهرة مهزوماً.

ووصل أسد الدّين فنزل على القاهرة أواخر جُمادى الآخرة، فخرج ضِرغام من القاهرة سلخَ الشهر، فقُتل عند مشهد السيّدة نفيسة، وبقي يومَين، ثمّ حُمل ودُفن في القرافة، وقُتل أخوه فارس[1] المسلمين، وخُلع على شاور مستهلّ رجب، وأعيد إلى الوزارة، وتمكّن منها، وأقام أسد الدّين بظاهر القاهرة، فغدر به شاور، وعاد عمّا كان قرّره لنور الدّين من البلاد المصريّة، ولأسد الدّين أيضاً، وأرسل إليه يأمره بالعَود إلى الشام، فأعاد الجواب بالامتناع، وطلب ما كان قد استقرّ بينهم، فلم يُجِبه شاور إليه، فلمّا رأى ذلك أرسل نوّابه فتسلّموا مدينة بِلْبِيس، وحكم على البلاد الشرقيّة، فأرسل شاور إلى الفرنج يستمدّهم ويخوّفهم من نور الدّين إنْ ملك مصر.

وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إنْ تمّ مُلكه لها، فلمّا أرسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على إخراج أسد الدّين من البلاد جاءهم فرجٌ لم يحتسبوه، وسارعوا إلى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا في ملك الدّيار المصريّة، وكان قد بذل لهم مالاً على المسير إليه، وتجهّزوا وساروا، فلمّا بلغ نورَ الدّين ذلك سار بعساكره إلى أطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير، فلم يمنعهم لعلمهم أنّ الخطر في مقامهم، إذا ملك أسد الدّين مصر، أشدّ، فتركوا في بلادهم مَن يحفظها، وسار ملك القدس في الباقين إلى مصر.

وكان قد وصل إلى الساحل جمع كثير من الفرنج في البحر لزيارة البيت المقدس، فاستعان بهم الفرنج الساحليّة، فأعانوهم، فسار بعضهم معهم، وأقام بعضهم في البلاد لحِفْظها، فلمّا قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدّين، وقصد مدينة بِلبِيس، فأقام بها هو وعسكره، وجعلها له ظهراً يتحصّن به، فاجتمعت العساكر المصريّة والفرنج، ونازلوا أسد الدّين شِيركُوه بمدينة بِلبِيس، وحصروه بها ثلاثة أشهر، وهو ممتنع بها مع أنّ سورها قصير جدّاً، وليس لها خندق، ولا فصيل يحميها، وهو يغاديهم القتال ويراوحهم، فلم يبلغوا منه غرضاً، ولا نالوا منه شيئاً.

---

(١) في (أ): «ناصر».

فبينما هم كذلك إذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم ومُلك نور الدّين حارم ومسيره إلى بانياس، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى، فحينئذٍ سُقِط في أيديهم، وأرادوا العودة إلى بلادهم ليحفظوها، فراسلوا أسد الدّين في الصلح والعود إلى الشام، ومفارقة مصر، وتسليم ما بيده منها إلى المصريّين، فأجابهم إلى ذلك لأنّه لم يعلم ما فعله نور الدّين بالشام بالفرنج، ولأنّ الأقوات والذّخائر قلّت عليه، وخرج من بِلبِيس في ذي الحجّة.

فحدّثني مَن رأى أسد الدّين حين خرج من بِلبِيس قال: أخرج أصحابه بين يديه، وبقي في آخرهم وبيده لِتّ من حديد يحمي ساقتهم، والمسلمون والفرنج ينظرون إليه. قال: فأتاه فرنجيّ من الغرباء الذين خرجوا من البحر، فقال له: أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المصريّون والفرنج، وقد أحاطوا بك وبأصحابك، ولا يبقى لكم بقيّة؟ فقال شيركوه: يا ليتهم فعلوه حتّى كنتَ ترى ما أفعله؛ كنتُ واللّه أضع السيف، فلا يُقتل منّا رجل حتّى يَقتل منهم رجالاً، وحينئذٍ يقصدهم الملك العادل نور الدّين، وقد ضعفوا وفني شجعانهم، فنملك بلادهم ويهلك من بقي منهم، واللّه لو أطاعني هؤلاء لخرجتُ إليكم من أوّل يوم، ولكنّهم امتنعوا.

فصلّب على وجهه، وقال: كنّا نعجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك، والآن فقد عذرناهم؛ ثمّ رجع عنه.

وسار شيركُوه إلى الشام، فوصل سالماً، وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق في الطريق رَصَداً ليأخذوه أو ينالوا منه ظفراً، فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق، ففيه يقول عُمارة [اليمني][1]:

أخذتُمْ علَى الإفرَنْجِ كُلَّ ثَنِيّةٍ ... وَقُلتُمْ لأيدي الخَيلِ مُرّي على مُرّي

لَئِن نَصَبُوا في البَرّ جِسْراً فإنّكُمْ ... عَبرْتُم ببَحرٍ مِنْ حَديدٍ على الجسرِ[2]

ولفظة[3] مُرّي في آخر البيت الأوّل اسم ملك الفرنج[4].

---

(١) من (أ).

(٢) البيتان في: النكت العصرية ٨٠.

(٣) من (ب).

(٤) أنظر الخبر في: التاريخ الباهر ١١٩ ـ ١٢٢، الروضتين ج ١ ق ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٩، النوادر السلطانية =

ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم

في هذه السنة، في شهر رمضان، فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم من الفرنج؛ وسبب ذلك أنّ نور الدّين لمّا عاد منهزماً من البقيعة، تحت حصن الأكراد، كما ذكرناه قبلُ، فرّق الأموال والسلاح، وغير ذلك من الآلات على ما تقدّم، فعاد العسكر كأنّهم لم يُصابوا وأخذوا في الاستعداد للجهاد والأخذ بثأره.

واتّفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم إلى مصر، كما ذكرناه، فأراد أن يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر، فأرسل إلى أخيه قُطب الدّين مَودود، صاحب الموصل وديار الجزيرة، وإلى فخر الدّين قُرا أرسلان، صاحب حصن كيفا، وإلى نجم الدّين ألبي، صاحب ماردين، وغيرهم من أصحاب الأطراف يستنجدهم؛ فأمّا قُطْب الدّين فإنّه جمع عسكره وسار مُجّداً، وفي مقدّمته زين الدّين عليّ أمير جيشه؛ وأمّا فخر الدّين، صاحب الحصن، فبلغني عنه أنّه قال له ندماؤه وخواصّه: على أيّ شيء عزمتَ؟ فقال: على القعود، فإنّ نور الدّين قد تحشّف من كثرة الصوم والصلاة، وهو يُلقي نفسه والناس معه في المهالك؛ فكلّهم وافقه على هذا الرأي، فلمّا كان الغد أمر بالتجهّز للغَزاة، فقال له أولئك: ما عدا ممّا بدا؟ فارقناك أمس على حالة، فنرى اليوم ضدّها؟ فقال: إنّ نور الدّين قد سلك معي طريقاً إن لم أُنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي، وأخرجوا البلاد عن يدي، فإنّه قد كاتب زهّادها وعُبّادها والمنقطعين عن الدّنيا، يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج، وما نالهم من القتل والأسر، ويستمدّ منهم الدّعاء، ويطلب أن يحثّوا المسلمين على الغزاة، فقد قعد كلّ واحد من أولئك، ومعه أصحابه وأتباعه، وهم يقرؤون كتب نور الدّين، ويبكون ويلعنونني، ويدعون عليّ، فلا بدّ من المسير إليه؛ ثمّ تجهّز وسار بنفسه.

وأمّا نجم الدين فإنّه سيّر عسكراً، فلمّا اجتمعت العساكر سار نحو حارم

= ٢٩، تاريخ مختصر الدول ٢١٢، تاريخ الزمان ١٧٦، زبدة الحلب ٢/٣١٦،٣١٧، المغرب ٩٤، نهاية الأرب ٢٨/٣٣٤،٣٣٥، المختصر في أخبار البشر ٣/٤١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٩ هـ.) ص ٤٠، دول الإسلام ٢/٧٣، العبر ٤/١٦٧،١٦٨، تاريخ ابن الوردي ٢/٦٧، مرآة الجنان ٣/٣٤١، البداية والنهاية ١٢/٢٤٧،٢٤٨، الكواكب الدرية ١٦٤ ـ ١٦٦، إتعاظ الحنفا ٣/٢٦٦ ـ ٢٧٥، تاريخ ابن سباط ١/١١٤،١١٥.

فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف إليها، فاجتمع مَن بقي بالساحل من الفرنج، فجاؤوا في حدّهم وحديدهم، وملوكهم وفرسانهم، وقِسّيسيهم ورهبانهم، وأقبلوا إليه من كلّ حدب ينسِلون، وكان المقدّم عليهم البرِنْس بَيْمُنْد، صاحب أنطاكية، وقُمّص، صاحب طَرابُلس وأعمالها، وابن جوسلِين، وهو من مشاهير الفرنج، والدّوك، وهو مقدّم كبير من الروم، وجمعوا الفارس والراجل، فلمّا قاربوه رحل عن حارم إلى أرتاح طمعاً أن يتبعوه فيتمكّن منهم لبُعدهم عن بلادهم إذا لقوه، فساروا، فنزلوا على غَمّر[1] ثم علموا عجزهم عن لقائه، فعادوا إلى حارم، فلمّا عادوا تبِعهم نور الدّين في أبطال المسلمين على تعبئة الحرب.

فلمّا تقاربوا اصطفّوا للقتال، فبدأ الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين، وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن، فانهزم المسلمون فيها، وتبِعهم الفرنج، فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتّفاق ورأي دبّروه، وهو أن يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم، فيميل عليهم مَن بقي من المسلمين بالسيوف فيقتلوهم، فإذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلاً يلجأُون إليه، ولا وَزَراً يعتمدون عليه، ويعود المنهزمون في آثارهم، فيأخذهم المسلمون من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، فكان الأمر على ما دبّروه: فإنّ الفرنج لمّا تبِعوا المنهزمين عطف زين الدّين عليّ في عسكر الموصل على راجل الفرنج فأفناهم قتلاً وأسراً، وعاد خيّالتهم، ولم يمنعوا في الطلب خوفاً على راجلهم، فعاد المهزمون في آثارهم، فلمّا وصل الفرنج رأوا رجالهم[2] قتلى وأسرى، فسُقط في أيديهم، ورأوا أنّهم قد هلكوا وبقوا في الوسط قد أحدق بهم المسلمون من كلّ جانب، فاشتدّت الحرب، وقامت على ساق، وكثُر القتل في الفرنج، وتمّت عليهم الهزيمة، فعدل حينئذٍ المسلمون عن القتل إلى الأسر، فأسروا ما لا يُحَدّ، وفي جملة الأسرى صاحب أنطاكية والقُمّص، صاحب طرابلس، وكان شيطان الفرنج، وأشدّهم شكيمة على المسلمين، والدّوك مقدّم الروم، وابن جوسلين، وكانت عدّة القتلى تزيد على عشرة آلاف قتيل.

وأشار المسلمون على نور الدّين بالمسير إلى أنطاكية وتملّكها لخُلُوّها من حامٍ

---

(١) في النسخة الباريسية رقم ٧٤٠ «عمر»، وفي (ب): «غم».

(٢) في (أ): «وجالتهم»، وفي (ب): «راجلهم».

يحميها ومقاتلٍ يذبّ عنها، فلم يفعل، وقال: أمّا المدينة فأمرها سهل، وأمّا القلعة فمنيعةٌ، وربّما سلّموها إلى ملك الروم لأنّ صاحبها ابن أخيه ومجاورة بيمنُد أحبّ إليّ من مجاورة صاحب قسطنطينيّة، وبثّ السرايا في تلك الأعمال فنهبوها وأسروا أهلها وقتلوهم، ثمّ إنّه فادى بيمُند البرِس، صاحب أنطاكية، بمالٍ جزيل وأسرى من المسلمين كثيرة أطلقهم[1].

ذكر مُلك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج أيضاً

في ذي الحجّة من هذه السنة فتح نور الدّين محمود قلعة بانياس، وهي بالقرب من دمشق، وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة، ولمّا فتح حارِم أذِن لعسكر الموصل وديار بكر بالعَود إلى بلادهم، وأظهر أنّه يريد طَبَرِيّة، فجعل مَن بقي من الفرنج همتّهم حفظها وتقويتها، فسار محمود[2] إلى بانياس لعِلمه بقلّة مَن فيها من الحُماة الممانعين عنها، ونازلها، وضيّق عليها وقاتلها، وكان في جملة عسكره أخوه نُصْرة الدّين أمير أميران، فأصابه سهمٌ فأذهب إحدى عينيه، فلمّا رآه نور الدّين قال له: لو كُشف لك عن الأجر الذي أُعدّ لك لتمنّيتَ ذهاب الأخرى. وجدّ في حصارها، فسمع الفرنج، فجمعوا، فلم تتكامل عدّتهم، حتّى فتحها؛ على أنّ الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسرهم فملك القلعة، وملأها ذخائر وعدّةً ورجالاً، وشاطر الفرنج في أعمال طَبَرِيّة، وقرّروا له على الأعمال التي لم يشاطرهم عليها مالاً في كلّ سنة.

ووصل خبر مُلك حارم وحصر بانياس إلى الفرنج بمصر، فصالحوا شِيركوه، وعادوا ليدركوا بانياس، فلم يصلوا إلاّ وقد ملكها، ولمّا عاد منها إلى دمشق كان بيده

---

(١) أنظر فتح حارم في: التاريخ الباهر ١٢٢ ـ ١٢٦، والروضتين ج ١ ق ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢، وزبدة الحلب ٢/ ٣١٩، وتاريخ إربل ١/ ٥٧٣ (سنة ٥٥٨ هـ.)، ومفرّج الكروب ١/ ١٤٤، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨ وتاريخ الزمان ١٧٦، وسنا البرق الشامي ٦١، ٦٢، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٤١، والدر المطلوب ٣٢، ٣٣، وتاريخ الإسلام (٥٥٩ هـ.) ص ٤٠، ٤١، والعبر ٤/ ١٢٦، ودول الإسلام ٢/ ٧٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٨، ومرآة الجنان ٣/ ٣٤١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤٨، والإعلام والتبيين ٢٨، ٢٩، ومشارع الأشواق ٢/ ٩٣٤، وتاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٩، وتاريخ ابن سباط ١/ ٢١٥ وتاريخ طرابلس ١/ ٥١٣.

(٢) في (أ): «محمد» وفي (ب): «فسار مجداً».

خاتم بفصّ ياقوت من أحسن الجوهر، وكان يسمّى الجبل لِكَبره وحُسنه، فسقط من يده في شَعارِي بانياس، وهي كثيرة الأشجار ملتفّة الأغصان، فلمّا أبعد عن المكان الذي ضاع فيه علم به، فأعاد بعض أصحابه في طلبه ودلّهم على المكان الذي كان آخر عهده به فيه، وقال: أظنّ هناك سقط؛ فعادوا إليه فوجدوه، فقال بعض الشعراء الشاميّين أظنّه ابن منير يمدحه ويهنّئه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت:

إنْ يَمْترِ[1] الشُّكّاكُ فيك بأنّك[2] الـ مهديُّ مُطفي جَمرة الدّجّالِ

فلعَودةِ الجَبل الذي أضللتَهُ[3] بالأمس بين غياطِلٍ[4] وجِبالِ

لم يُعطها إلاّ سليمانٌ، وقد[5] نبت الربا[6] بموشك الاعجالِ

رحرحرى[7] لسرير ملكك إنّه كسريره عن كلّ حدّ[8] عالِ

فلو البحار السبعة استهوينه وأمرتَهن قَذَفْنَهُ في الحالِ[9]

ولمّا فتح الحصن كان معه ولد معين الدّين أُنُز الذي سلّم بانياس إلى الفرنج، فقال له: للمسلمين بهذا الفتح فرحة واحدة، ولك فرحتان؛ فقال: كيف ذاك؟ قال:

---

(١) في التاريخ الباهر: «تمتر».

(٢) في الروضتين: «فإنك».

(٣) في الروضتين: «أظللته».

(٤) في الروضتين: «عناطل».

(٥) من (أ).

(٦) في الروضتين: «نلت الرقاء»، وفي (ب): «نلت الربا».

(٧) في الروضتين: «زجرجرى».

(٨) في الروضتين: «جُدُر».

(٩) الأبيات في: التاريخ الباهر ١٣١، والروضتين ج ١ ق ٣٥٦/٢، ٣٥٧، وديوان ابن منير (من جمعنا) ٢٦٩، ٢٧٠، وقال أبو شامة ـ: وهذه الأبيات لابن منير بلا شك، ولكن في غير هذه الغزاة، فإن ابن منير قد سبق أنه توفي سنة ثمان وأربعين، وفتح بانياس كما تراه في سنة ستين. وقد قرأت في ديوان ابن منير: وقال يمدحه، يعني نور الدين، ويهنّئه بالعود من غزاة، وضياع فصّ ياقوت جبل من يده لاشتغاله بالصيد، شراؤه ألف ومائة دينار.

وفي نسخة: ووجد أن خاتماً ضاع منه في الصيد قيمته ألف ومائة دينار، وأنشده إياها بقلعة حمص، فذكر القصيدة أولها:

يوماك يوم ندى ويوم نِزال

(أنظر الديوان ٢٧٠ ـ ٢٧٢).

لأنّ اليوم برّد الله جلد والدك من نار جهنّم[1].

ذكر أخذ الأتراك غَزنة من ملكشاه وعوده إليها

في هذه السنة قصد بلاد غَزنة الأتراك المعروفون بغُزّ[2]، ونهبوها وخرّبوها، وقصدوا غَزنة وبها صاحبها ملكشاه بن خُسروشاه المحموديّ، فعلم أنّه لا طاقة له بهم، ففارقها وسار إلى مدينة لَهَاوور، وملك الغزّ مدينة غَزْنَة، وكان القيّم بأمرهم أمير اسمه زنكي بن عليّ بن خليفة الشيبانيّ؛ ثمّ إنّ صاحبها ملكشاه جمع وعاد إلى غَزْنة، ففارقها زنكي وعاد ملكها ملكشاه ودخلها في جمادى الآخرة سنة تسعٍ وخمسين وخمسمائة وتمكّن في دار مُلكه.

ذكر وفاة جمال الدّين الوزير وشيء من سيرته

في هذه السنة تُوفّي جمال الدّين أبو جعفر محمّد بن عليّ بن أبي منصور الأصفهانيّ، وزير قطب الدّين، صاحب الموصل، في شعبان مقبوضاً، وكان قد قُبض عليه سنة ثمانٍ وخمسين، فبقي في الحبس نحو سنة.

حكى لي إنسانٌ صوفيّ يقال له أبو القاسم كان مختصّاً بخدمته في الحبس قال: لم يزل مشغولاً في محبسه بأمر آخرته، وكان يقول: كنتُ أخشى أن أُنقل من الدَّستِ إلى القبر؛ فلمّا مرض قال لي في بعض الأيّام: يا أبا القاسم! إذا جاء طائر أبيض إلى الدّار فعرّفني. قال: فقلتُ في نفسي قد اختلط عقله؛ فلمّا كان الغد أكثر السؤآل عنه، وإذا[3] طائر أبيض لم أر مثله قد سقط، فقلتُ: جاء الطائر؛ فاستبشر ثمّ قال: جاء الحقّ؛ وأقبل على الشهادة وذكر اللّه تعالى، إلى أن تُوفّي، فلمّا تُوفّي طار ذلك الطائر، فعلمت أنّه رأى شيئاً في معناه.

---

(١) أنظر فتح بانياس في:
التاريخ الباهر ١٣٠، ١٣١، وزبدة الحلب ٢/ ٣٢١، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٢٥١، وكتاب الروضتين ج ١ ق ٢/ ٢٣٦، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١٤١، ١٤٢، وتاريخ الزمان ١٧٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٤١، وتاريخ الإسلام (٥٥٩ هـ.) ص ٤١، ٤٢، والعبر ٤/ ١٦٧، ودول الإسلام ٢/ ٧٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٦٧، والكواكب الدرية ١٦٨، وتاريخ ابن سباط ١/ ١١٥.

(٢) في (ب): «المعرفون نقى».

(٣) في الأوربية: «وإذ».

ودُفن بالموصل عند فتح الكراميّ[1]، رحمة الله عليهما، نحو سنة، ثمّ نُقل إلى المدينة، فدُفن بالقرب من حرم النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، في رباط بناه لنفسه هناك، وقال لأبي القاسم: بيني وبين أسد الدّين شِيركوه عهدٌ، مَن مات منّا قبل صاحبه حمله إلى المدينة فدفنه بها في للتربة التي عملها، فإذا أنا متّ فامضِ[2] إليه وذكّره؛ فلمّا تُوفي سار أبو القاسم إلى شيركوه في المعنى، فقال له شيركوه: كم تريد؟ فقال: أريد أجرة جمل يحمله وجمل يحملني وزادي؛ فانتهره وقال: مثل جمال الدّين يُحمل هكذا إلى مكّة! وأعطاه مالاً صالحاً ليحمل معه جماعة يحجّون عن جمال الدّين، وجماعة يقرأون عليه بين يدي تابوته إذا حُمل، وإذا نزل عن الجمل؛ وإذا وصل إلى مدينة يدخل أولئك القرّاء ينادون للصلاة عليه، فيصلّى عليه في كلّ بلدة يجتاز بها، وأعطاه أيضاً مالاً للصدقة عنه، فصُلّي عليه في تكريت، وبَغداد، والحلّة،[3] وفَيْد، ومَكّة، والمدينة، وكان يجتمع له في كلّ بلد من الخلق ما لا يُحصى، ولمّا أرادوا الصلاة عليه بالحِلّة صعِد شاب على موضعٍ مرتفع وأنشد بأعلى صوته:

سَرَى نَعشُهُ فوْقَ الرّقابِ وَطالما سَرَى جُودُهُ[4] فوْقَ الرّكابَ ونائلُهْ
يمرّ على الوَادي فتُثني رِمالُهُ[5] عَلَيْهِ وَبالنّادي فتُثني[6] أراملُهْ[7]

فلم نرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم، فطافوا به حول الكعبة، وصلّوا عليه بالحرم الشريف؛ وبين قبره وقبر النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، نحو خمسة عشر ذراعاً.

وأمّا سيرته فكان، رحمه الله، أسخى النّاس، وأكثرهم بذلاً للمال، رحيماً بالخلق، متعطّفاً عليهم، عادلاً فيهم؛ فمن أعماله الحسنة أنّه جدّد بناء مسجد الخَيف

---

(١) في (أ): الهكاري. وفي (ب): «الكاري».
(٢) في الأوربية: «فامضي».
(٣) في (ب) زيادة: «والكوفة».
(٤) في تاريخ الإسلام: «سرى برّه».
(٥) في تاريخ الإسلام: «فتىً مرّ بالوادي فانثنت رماله».
(٦) في وفيات الأعيان: «فتبكي»، وفي تاريخ الإسلام: «فحنّت».
(٧) البيتان في: التاريخ الباهر ١٢٧/١، ووفيات الأعيان ١٤٦/٥، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٢٥٠، والروضتين ج ١ ق ٣٤٩/٢، تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٩ هـ.) ص ٢٩٣.

بمِنَى، وغرم عليه أموالاً جسيمة، وبنى الحجر بجانب الكعبة، وزخرف الكعبة وذهّبها، وعملها بالرخام؛ ولمّا أراد ذلك أرسل إلى المقتفي لأمر اللّه هديّة جليلة، وطلب منه ذلك، وأرسل إلى الأمير عيسى أمير مكّة هديّة كثيرة، وخِلعاً سنيّة، منها عمامة مشتراها ثلاثمائة دينار، حتّى مكّنه من ذلك.

وعمّر أيضاً المسجد الذي على جبل عَرَفات والدّرَج التي يُصعد فيها إليه، وكان النّاس يلقون شدّة في صعودهم، وعمل بعرَفات[1] أيضاً مصانع للماء، وأجرى الماء إليها من نَعْمان في طُرق معمولة تحت الأرض، فخرج عليها مال كثير. وكان يُجري الماء في المصانع كلّ سنة أيّام عرفات؛ وبنى سوراً على مدينة النبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، وعلى فَيد، وبنى لها أيضاً فصيلاً[2].

وكان يخرج على باب داره، كلّ يوم، للصّعاليك والفقراء مائة دينار أميريّ، هذا سوى الإدرارات والتّعهّدات للأئمّة والصالحين وأرباب البيوتات.

ومن أبنيته العجيبة التي لم يرَ النّاس مثلها الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجَر المنحوت[3] والحديد والرصاص والكلس، فقُبض قبل أن يفرغ؛ وبنى عندها أيضاً جسراً كذلك على النهر المعروف بالارباد[4]، وبنى الرُّبُط، وقصده النّاس من أقطار الأرض، ويكفيه أنّ ابن الخُجَنديّ، رئيس أصحاب الشافعيّ بأصفهان، قصده وابن الكافي قاضي همذان، فأخرج عليهما مالاً عظيماً، وكانت صدقاته وصِلاته من أقاصي خُراسان إلى حدود اليمن.

وكان يشتري الأَسَرى كلّ سنة بعشرة آلاف دينار، هذا من الشام حسب، سوى ما يشتري من الكرج.

حكى لي والدي عنه قال: كثيراً ما كنتُ أرى جمال الدّين، إذا قُدّم إليه الطعام، يأخذ منه ومن الحلوى ويتركه في خبز بين يديه، فكنتُ أنا ومن يراه نظنّ أنّه يحمله إلى أمّ ولده عليّ، فاتّفق أنّه في بعض السنين جاء إلى الجزيرة مع قُطْب الدّين، وكنتُ

---

(١) في الأوربية: «بعرقات».

(٢) في الأوربية: «فضيلاً».

(٣) في (أ): «بالحديد المنحوت».

(٤) هكذا في الأصل، والباريسية، والنسخة رقم ٧٤٠.

أتولّى ديوانها، وحمل جاريته أمّ ولده إلى داري لتدخل الحمّام، فبقيت في الدّار أيّاماً، فبينما أنا عنده في الخيام وقد أكل الطعام، فعل كما كان يفعل ثمّ تفرّق النّاس، فقمتُ، فقال: اقعد. فقعدتُ فلمّا خلا المكان قال لي: قد آثرتك اليوم على نفسي، فإنّني في الخيام ما يمكنني أن أفعل ما كنتُ أفعله؛ خذ هذا الخبز واحمله أنت في كُمّك في هذا المنديل، واترك الحماقة من رأسك، وعُدْ إلى بيتك. فإذا رأيتَ في طريقك فقيراً يقع في نفسك أنّه مستحقّ فاقعد أنت بنفسك وأطعِمْه هذا الطعام. قال: ففعلتُ ذلك. وكان معي جمعٌ كثير، ففرّقتهم في الطريق لئلّا يروني أفعل ذلك، وبقيتُ في غلماني، فرأيتُ في موضع إنساناً أعمى، وعنده أولاده وزوجته، وهم من الفقر في حالٍ شديد، فنزلتُ عن دابّتي إليهم، وأخرجتُ الطعام وأطعمتُهم إيّاه، وقلتُ للرجل: تجيء غداً بُكرةً إلى دار فلان، أعني داري، ولم أعرّفه نفسي، فإنّني آخذ لك من صدقة جمال الدّين شيئاً؛ ثمّ ركبتُ إليه العصر، فلمّا رآني قال: ما الذي فعلتَ في الذي قلتُ لك؟ فأخذتُ أذكر له شيئاً يتعلّق بدولتهم؛ فقال: ليس عن هذا أسألك إنّما أسألك عن الطعام الذي سلّمتُه إليك؛ فذكرتُ له الحال، ففرح ثمّ قال: بقي أنّك لو قلتَ للرجل يجيء إليك هو وأهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير، وتُجري لهم كلّ شهر ديناراً. قال: فقلتُ له: قد قلتُ للرجل حتّى يجيء إليّ؛ فازداد فرحاً، وفعلتُ بالرجل ما قال، ولم يزل يصل إليه رسمه حتّى قُبض. وله من هذا كثير، فمن ذلك أنّه تصدّق بثيابه من على بدنه في بعض السنين التي تعذّرت الأقوات فيها[1].

ذكر إجلاء القارغلّية[2] من وراء النهر

كان خان خانان الصيني ملك الخطا قد فوّض ولاية سَمَرْقَند وبخارى إلى الخان جَغري خان بن حسن تكين، واستعمله عليهما، وهو من بيت الملك، قديم الأُبُوّة، فبقي فيها مدّبراً لأمورها، فلمّا كان الآن أرسل إليه ملك الخطا بإجلاء الأتراك القارغليّة من أعمال بُخارى وسمرقند إلى كاشْغر، وأن يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزّراعة وغيرها من الأعمال، فتقدّم جغري خان إليهم بذلك، فامتنعوا، فألزمهم وألحّ

(١) أنظر عن (جمال الدين الوزير) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٩ هـ.) ص ٢٩١ ـ ٢٩٣ رقم ٣٢١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في (أ): «القارلغية».

عليهم بالانتقال، فاجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة، فكثروا، وساروا إلى بخارى، فأرسل الفقيه محمّد بن عمر بن بُرهان الدّين عبد العزيز بن مازَةَ، رئيس بخارى، إلى جغري خان يُعلِمه ذلك ويحثّه على الوصول إليهم بعساكره قبل أن يعظُم شرّهم، وينهبوا البلاد.

وأرسل إليهم ابن مازة يقول لهم: إنّ الكّفار بالأمس لمّا طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل، وأنتم مسلمون، غزاة، يقبح منكم مدّ الأيدي إلى الأموال والدّماء، وأنا أبذل لكم من الأموال ما ترضون به لتكفّوا عن النّهْب والغارة؛ فتردّدت الرسل بينهم في تقرير القاعدة، وابن مازة يطاول بهم ويمادي الأيّام إلى أن وصل جغري خان، فلم يشعر الأتراك القارغلية[1] إلاّ وقد دهمهم جغري خان في جيوشه وجموعه بغتةً ووضع السيف فيهم، فانهزموا وتفرّقوا، وكثُر القتل فيهم والنهب، واختفى طائفة منهم في الغياض والآجام، ثمّ ظفر بهم أصحاب جغري خان فقطعوا دابرهم، ودفعوا عن بخارى ونواحيها ضررهم، وخلت تلك الأرض منهم.

ذكر استيلاء سُنقُر على الطالقان وغرْشِسْتَان

في هذه السنة استولى الأمير صلاح الدّين سُنقُر، وهو من مماليك السّنجَريّة، على بلاد الطّالقان، وأغار على حدود غرْشِسْتَان، وتابع الغارات عليها حتّى ملكها، فصارت الولايتان له وبحكمه، وله فيهما[1] حصون منيعة، وقلاع حصينة، وصالح الأمراء الغُزّيّة وحمل لهم الإتاوة كلّ سنة.

ذكر قتل صاحب هراة

كان صاحب هَراة الأمير إيتكين بينه وبين الغُزّ مهادنة، فلمّا توفّي ملك الغُور محمّد طمع في بلادهم، فغزاهم غير مرّة، ونهب وأغار، فلمّا كان في شهر رمضان من هذه السنة جمع ايتكين جموعه وسار إلى بلاد الغور، وساروا إلى باميان وإلى ولاية بُست[2] والرُّخّج، فقاتله صاحبها طُغرُل تَكِين يرنقش الفَلَكيّ من قبل الغوريّة، فظهروا إلى باميان، واستولى [على] بُست والرُّخّج فسلّمها إلى بعض أولاد ملوك

(١) في الأوربية: «فيها».
(٢) في (أ): «بشت».

الغُور؛ وأمّا إيتكين فإنّه توغّل في بلاد الغُور، فأتاه أهلها وقاتلوه وصدّوه، وصدقوه القتال، فانهزم عسكره، وقُتل هو في المعركة[1].

ذكر مُلك شاه مازَنْدَران قُومِس وبِسطام

قد ذكرنا استيلاء المؤيّد صاحب نَيسابور على قُومِس وبِسطام وتلك البلاد، وأنّه استناب بها مملوكه تِنكِز[2]، فلمّا كان هذه السنة جهّز شاه مازَنْدَران جيشاً، واستعمل عليهم أميراً له يُعرف بسابق الدّين القَزوينيّ، فسار إلى دامِغان فملكها، فجمع تنكز مَن عنده من العساكر وسار إليه إلى دامغان، فخرج إليه القزوينيّ، فوصل إلى تنكز على غِرّة منه، فلم يشعر هو وعسكره إلاّ وقد كبسهم القزوينيّ ووضع السيف فيهم، فتفرّقوا وولّوا منهزمين، واستولى عسكر شاه مازَندران على تلك البلاد، وعاد تنكز إلى المؤيّد صاحب نَيسابور، واشتغل بالغارة على بِسطام وبلاد قُومس[3].

ذكر عصيان غُمارة بالمغرب

لمّا تحقّق النّاس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين [وخمسمائة]، ثارت قبائل غُمارة مع مفتاح بن عمرو، وكان مقدّماً كبيراً فيهم، وتبِعوه بأجمعهم، وامتنعوا في جبالهم، وهي معاقل مانعة، وهم أُمَم جمّة، فتجهّز إليهم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ومعه أخواه عمرو وعثمان، في جيشٍ كبير من الموحّدين والعرب، وتقدّموا إليهم، فاقتتلوا سنة إحدى وستّين وخمسمائة، فانهزمت غُمارة، وقُتل منهم كثير، وفيمَن قُتل مفتاح بن عمرو مقدّمهم، وجماعة من أعيانهم ومقدّميهم، وملكوا بلادهم عِنوةً.

وكان هناك قبائل كثيرة يريدون الفتنة، فانتظروا ما يكون من غُمارة، فلمّا قُتلوا ذلّت تلك القبائل وانقادوا للطّاعة، ولم يبقَ متحرّك لفتنة ومعصية[4] فسكنت الدّهْماء في جميع المغرب[5].

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٩ هـ.) ص ٤٢.

(٢) في (ب): «تنكر».

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٩ هـ.) ص ٤٢.

(٤) في (أ): «وعصبية»، والمثبت من (ب).

(٥) نهاية الأرب ٢٤/ ٣٢٢،٣٢٣.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أغار الأمير[1] محمّد بن أُنُز على بلد الإسماعيليّة بخُراسان وأهلها غافلون، فقتل منهم وغنم وأسر وسبَى وأكثر، وملأ أصحابه أيديهم من ذلك.

وفيها تُوفي أبو الفضل نصر بن خَلَف ملك سجِستان، وعمره أكثر من مائة سنة، ومدّة مُلكه ثمانون سنة، وملك بعده ابنه شمس الدّين أبو الفتح أحمد بن نصر؛ وكان أبو الفضل ملكاً عادلاً عفيفاً عن رعيّته، وله آثار حسنة في نصرة السلطان سَنجَر في غير موقف.

وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينيّة في عساكر لا تُحصى وقصد بلاد الإسلام التي بيد قَلْج أرسلان وابن دانِشْمنَد، فاجتمع التركمان في تلك البلاد في جمعٍ كبير، فكانوا يُغيرون على أطراف عسكره ليلاً، فإذا أصبح لا يرى أحداً.

وكثُر القتل في الروم حتّى بلغت عدّة القتلى عشرات ألوف[2]، فعاد إلى القسطنطينيّة، ولمّا عاد ملك المسلمون منه عدّة حصون[3].

[الوَفيات]

وفيها تُوفّي الإمام عمر الخُوارزميّ[4] خطيب بلْخ ومفتيها بها.

والقاضي أبو بكر المحموديّ[5]، صاحب التّصانيف والأشعار، وله مقامات بالفارسيّة على نمط «مقامات» الحريريّ بالعربيّة.

---

(١) في الأوربية: «أمير».

(٢) في تاريخ الإسلام: «نحواً من عشرة آلاف».

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٩ هـ.) ص ٤٣، دول الإسلام ٢/ ٧٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٥، العبر ٤/ ١٦٧، مرآة الجنان ٣/ ٣٤١.

(٤) في (أ): «الكخواري»، وفي (ب): «الكحواري».

(٥) أنظر عن (أبي بكر المحمودي) في: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤٤، والجواهر المضية ٢/ ٢٧٣، ومعجم المؤلفين ٣/ ٧٥.

(٥٦٠)
ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

ذكر وفاة شاه مازَندران ومُلك ابنه بعده

في هذه السنة، ثامن ربيع الأوّل، تُوفّي شاه مازَندران رستم بن عليّ بن شَهرَيار بن قارِن، ولمّا تُوفّي كتم ابنه علاء الدّين الحسن موته أيّاماً، حتّى استولى على سائر الحصون والبلاد ثمّ أظهره[١]، فلمّا ظهر خبر وفاته أظهر إيثاق[٢] صاحب جُرجان ودِهِستان المنازعة لولده في المُلك، ولم يرعَ حقّ أبيه عليه، فإنّه لم يزل يذبّ عنه ويحميه إذا التجأ إليه، ولكن المُلك عقيم، ولم يحصل من منازعته على شيء غير سوء السمعة وقبح الأحدوثة.

ذكر حصر عسكر المؤيّد نسا ورحيلهم عنها

كان المؤيّد قد سيّر جيشاً إلى مدينة نَسا، فحصروها إلى جُمادى الأولى في هذه السنة، فسيّر خُوارزم شاه ايل أرسلان بن أتسِز جيشاً إلى نَسا، فلمّا قاربوها رحل عنها عسكر المؤيد وعادوا إلى نَيسابور أواخر جُمادى الأولى.

وسار عسكر المؤيّد إلى عسكر خُوارزم، لأنّهم توجهّوا إلى نَيسابور، فتقدّم العسكر المؤيّديّ ليردّهم عنها، فلمّا سمع العسكر الخُوارزميّ بهم عاد عنهم، وصار صاحب نَسا في طاعة خُوارزم شاه والخطبة له فيها.

وسار عسكر خُوارزم إلى دِهِستان، فالتجأ صاحبها الأمير إيثاق[٢] إلى المؤيّد،

---

(١) في (أ): «ثم أظهر أمره».

(٢) في (أ): «ايناق»، وفي (ب): «ايتاق».

صاحب نَيسابور، بعد تمكّن الوحشة بينهما، فقبله المؤيّد وسيّر إليه جيشاً كثيفاً، فأقاموا عنده حتى دفع الضرر عن نفسه وبلده من جهة طَبَرستان.

وأمّا دِهِسْتان فإنّ عسكر خُوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شِحنة.

ذكر استيلاء المؤيّد على هراة

قد ذكرنا قتل صاحب هَراة سنة تسعٍ وخمسين [وخمسمائة]، فلمّا قُتل تجهّز الأمراء الغُزّيّة وساروا إلى هَراة وحصروها، وقد تولّى أمرها إنسان يلقّب أثير الدّين، وكان له مَيل إلى الغُزّ، وهو يحاربهم ظاهراً، ويراسلهم باطناً، فهلك لهذا السبب خلق كثير من أهل هَراة، فاجتمع أهلها فقتلوه، وقام مقامه أبو الفتوح عليّ بن فضل اللّه الطُّغرائيّ، فأرسل أهلها إلى المؤيّد أي أبَه، صاحب نَيسابور، بالطّاعة والانقياد إليه، فسيّر إليهم مملوكه سيف الدّين تنكز[1] في جيش، وسيّر جيشاً آخر أغاروا على سَرْخَسَ، ومَرْو، فأخذوا دوابّ الغُزّ وعادوا سالمين. فلمّا سمع الغُزّ بذلك رحلوا عن هُراة إلى مرو[2].

ذكر الحرب بين قَلْج أرسلان وبين ابن دانِشْمَند

في هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قَلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، صاحب قونية وما يجاورها من بلد الروم، وبين ياغي[3] أرسلان بن دانشمند، صاحب مَلَطْيَة وما يجاورها من بلد الروم، وجرت بينهما حرب شديدة.

وسببها أنّ قلج أرسلان تزوّج ابنة الملك صليق بن عليّ بن أبي القاسم، فسُيّرت الزّوجة إلى قلج أرسلان مع جهاز كثير لا يُعلم قدره، وأغار ياغي أرسلان صاحب مَلَطْيَة عليه، وأخذ العروس وما معها وأراد أن يزوّجها بابن أخيه ذي النّون بن محمد، ابن دانشمند، فأمرها بالردّة عن الإسلام ففعلت لينفسخ النّكاح من قَلج أرسلان، ثمّ عادت إلى الإسلام، فزوّجها من ابن أخيه، فجمع قلج أرسلان عسكره وسار إلى ابن دانشمند، فالتقيا واقتتلا، فانهزم قلج أرسلان، والتجأ إلى ملك الروم، واستنصره، فأرسل إليه جيشاً كثيراً، فمات ياغي أرسلان بن دانشمند في تلك الأيّام، وملك قلج

---

(١) في (ب): «تنكر».
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٥٩ هـ.) ص ٤٤.
(٣) في (أ) و(ب): «باغي»، بالموحّدة.

أرسلان بعض بلاده، واصطلح هو والملك إبراهيم بن محمّد بن دانشمند، لأنّه ملك البلاد بعد عمّه ياغي[1] أرسلان، واستولى ذو النّون بن محمّد بن دانشمند على مدينة قيساريّة، وملك شاهان شاه بن مسعود أخو قلج أرسلان على مدينة انكوريّة واستقرّت القواعد بينهم واتّفقوا.

ذكر الفتنة بين نور الدّين وقلج أرسلان

في هذه السنة كانت وحشة متأكّدة بين نور الدّين محمود بن زنكي، صاحب الشام، وبين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، صاحب الروم، أدّت إلى الحرب والتّضاغن، فلمّا بلغ خبرها إلى مصر كتب الصالح بن رُزّيك، وزير صاحب مصر، إلى قلج أرسلان ينهاه عن ذلك ويأمره بموافقته، وكتب فيه شِعراً:

نَقــولُ ولكِــنْ أيــنَ مَــنْ يَتَفَهّــمُ ... ويَعلَـمُ وَجهَ الرّأيِ والـرّأيُ مُبهَـمُ
ومَا كلُّ مَن قاسَ الأمورَ وساسَها ... يُـوَفَّـقُ لـلأمْـرِ الـذي هَـو أحْـزَمُ
ومَا أحَدٌ في المُلكِ يَبقى مُخَلّداً ... ومَـا أحَـدٌ ممّـا قضَـى اللّهُ يَسلَـمُ
أمن بعد ما ذاق العِدى طعمَ حرْبكم [بفيهِم وكانتْ] وَهيَ صَابٌ وعلقمُ
رَجعتم إلى حُكمِ التّنافُسِ بَينكم ... وَفيكـمْ مـنَ الشّحنـاء نـارٌ تَضَـرّمُ
أمَا عندكم مَنْ يَتّقي اللّهَ وَحدَهُ ... أمَا في رَعاياكم منَ النّاسِ مُسلمُ
تَعـالَـوْا لَعَـلّ اللّـهَ يَنصُـرُ دينَـهُ ... إذا مـا نصَـرْنـا الـدّينَ نحنُ وأنتُـمُ
ونَنهـض نحـوَ الكـافـرِيـنَ بعَـزْمَـةٍ ... بـأمثـالِهـا تُحْـوَى البِـلادُ وتُقسَـمُ

وهي أطول من هذا. هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وأنّ الصالح أرسل بهذا الشعر، فإنْ كان الشعر للصّالح فينبغي أن تكون الحادثة قبل هذا التّاريخ، لأنّ الصالح قُتل سنة ستٍّ وخمسين [وخمسمائة] في رمضان، وإن لم يكن الشِعر له فالحادثة في هذا التاريخ، (ويحتمل)[2] أن يكون هذا التنافس كان أيّام الصالح (فكتب الأبيات ثمّ)[3] امتدّ إلى الآن.

---

(١) في (أ): «ياغي»، وفي (ب): «باغي».
(٢) من (أ).
(٣) من (ب).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، وقع بأصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدّين عبد اللّطيف بن الخُجَنديّ وبين القاضي وغيره من أصحاب المذاهب، بسبب التّعصّب للمذاهب، فدام القتال بين الطائفتين ثمانية أيّام متتابعة قُتل فيها خلق كثير، واحترق وهُدم كثير من الدُّور والأسواق، ثمّ افترقوا على أقبح صورة[1].

وفيها بنى الإسماعيليّة قلعة بالقرب من قَزوين فقيل لشمس الدّين إيلدكز عنها، فلم يكن له إنكار لهذه الحال خوفاً من شرّهم وغائلتهم، فتقدّموا بعد ذلك إلى قزوين فحصروها، وقاتلهم أهلها أشدّ قتال رآه النّاس.

وحكى لي بعض أصدقائنا بل مشايخنا من الأئمّة الفضلاء قال: كنتُ بقَزوين أشتغل بالعلم، وكان بها إنسان يقود جمعاً كبيراً، وكان موصوفاً بالشجاعة، وله عصابة حمراء، إذا قاتل عصب بها رأسه، قال: فكنت أحبّه وأشتهي الجلوس معه؛ قال: فبينما أنا عنده يوماً إذا هو يقول: كأنّي بالملاحدة وقد قصدوا البلد غداً، فخرجنا إليهم وقاتلناهم، فكنتُ أوّل النّاس وأنا متعصّب بهذه العصابة، فقاتلناهم، فلم يُقتل غيري، ثمّ ترجع الملاحدة، ويرجع أهل البلد.

قال: فواللّه لمّا كان الغد إذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة، فخرج النّاس؛ قال: فذكرتُ قول الرجل، فخرجتُ واللّه وليس لي همّة إلاّ [أن] أنظر هل يصحّ ما قال أم لا. قال: فلم يكن إلاّ قليلٍ حتى عاد النّاس وهو محمول على أيديهم قتيلاً بعصابته الحمراء، وذكروا أنّه لم يُقتل بينهم غيره، فبقيتُ متعجّباً من قوله كيف صحّ، ولم يتغيّر منه شيء، ومن أين له هذا اليقين.

ولمّا حكى لي هذه الحكاية لم أسأله عن تاريخها، وإنّما كان في هذه المدّة في تلك البلاد، فلهذ أثبتُّها هذه السنةِ على الظّنّ والتّخمين.

وفيها قبض المؤيّد أي أبه، صاحب نَيسابور، على وزيره ضياء المُلْك محمّد بن

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٦٠ هـ.) ص ٤٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٦، العبر ٤/١٦٩، مرآة الجنان ٣/٣٤٣، البداية والنهاية ١٢/٢٤٩، شذرات الذهب ٤/١٨٨.

أبي طالب سعد بن أبي القاسم محمود الرّازي وحبسه، واستوزر بعده نصير الدّين أبا بكر محمّد بن أبي نصر محمّد المستوفي، وكان أيّام السلطان سَنْجر يتولّى إشراف ديوانه، وهو من أعيان الدّولة السَنْجرية.

وفي هذه السنة وردت الأخبار أنّ النّاس حجّوا سنة تسع وخمسين، ولقوا شدّة، وانقطع منهم خلق كثير في فَيد، والثعلبيّة، وواقصة، وغيرها، وهلك كثير، ولم يمضِ الحاجُّ إلى مدينة النبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، لهذه الأسباب، ولشدّة الغلاء فيها، وعدم ما يُقتات، ووقع الوباء في البادية وهلك منهم عالم لا يُحصون، وهلكت مواشيهم، وكانت الأسعار بمكّة غالية.

وفيها، في صفر، قبض المستنجد باللّه على الأمير توبة بن العُقيليّ، وكان قد قرُب منه قُرباً عظيماً بحيث يخلو معه، وأحبّه المستنجد محبّة كثيرة، فحسده الوزير ابن هُبيرة، فوضع كتباً من العجم مع قوم وأمرهم أن يتعرّضوا ليؤخذوا، ففعلوا ذلك وأُخذوا وأُحضروا عند الخليفة، فأظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد، فلمّا وقف الخليفة عليها خرج إلى نهر الملك يتصيّد، وكانت حِلل توبة على الفرات[1]، فحضر عنده، فأمر بالقبض عليه، فقُبض وأُدخل بغداد ليلاً وحُبس، فكان آخر العهد به، فلم يمتَّع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة أشهر. وكان توبة من أكمل العرب مروءة وعقلاً وسخاء وإجازة، واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرّق في النّاس[2].

[الوفيات]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي الشهاب محمود بن عبد العزيز الحامديّ[3] الهرَويّ وزير السلطان أرسلان. ووزير أتابكه شمس الدين إيلدكز.

وفيها تُوفيّ عون الدّين الوزير ابن هُبيرة[4]، واسمه يحيى بن محمد أبو المظفّر، وزير الخليفة، وكان موته في جُمادى الأولى ومولده سنة تسعين وأربعمائة، ودُفن

---

(١) في الأوربية: «الفراة».

(٢) المنتظم ١٠/ ٢١٠ (١٨/ ١٦٢)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٦٠ هـ.) ص ٤٤.

(٣) انظر عن (الحامدي) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٦٠ هـ) ص ٣٢١ رقم ٣٦٤.

(٤) انظر عن (الوزير ابن هبيرة) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٦٠ هـ) ص ٣٢٨ ـ ٣٣٤ رقم ٣٧٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

بالمدرسة التي بناها للحنابلة بباب البصرة، وكان حَنبليّ المذهب، ديّناً، خَيّراً، عالماً، يسمع حديث النبيّ ﷺ، وله فيه التصانيف الحسنة؛ وكان ذا رأيٍ سديد، ونافق على المقتفي نفاقاً عظيماً، حتى إنّ المقتفي كان يقول: لم يزر لبني العبّاس مثله؛ ولمّا مات قبض على أولاده وأهله.

وتُوفّي بهذه السنة محمد بن سعد[1] البغداديّ بالموصل، وله شعر حسن، فمن قوله:

أفـدي الـذي وَكّلنـي حُبُّـهُ ... بطُـولِ إعـلالٍ وإمـراضِ
ولَسـتُ أدري بعـدَ ذا كُلّـهِ ... أسـاخـطٌ مَـوْلايَ أمْ راضِ

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام أبو القاسم عمر بن عكرمة[2] بن البزري[3] الشافعيّ[4]، (تفقّه على الفقيه)[5] إلْكِيا الهراسيّ، وكان واحد عصره في الفقه تأتيه الفَتاوى من العراق وخُراسان وسائر البلاد، وهو من جزيرة ابن عُمَر.

---

(١) انظر عن (محمد بن سعد) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٦٠ هـ) ص ٣١٩ رقم ٣٦١ وفيه «محمد بن سعود بن عبد الملك بن خنيس، أبو الكرم الغسّال».

(٢) انظر عن (عمر بن عكرمة) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٦٠ هـ) ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ رقم ٣٥٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في طبعة صادر ٣٢١/١١ «البرزي» بتقديم الراء، والتصحيح من الاستدراك لابن نقطة، وتوضيح المشتبه ٤٣٣/١، ومصادر ترجمته.

(٤) في (أ): «ابن الفقيه الشافعي».

(٥) من (أ).